كليــة اللغة العربية بأسيوط
المجلـة العلميــة

التحالفات السياسيــة لخــوارزم شــاه
عــلاء الدين محمـد، ضـد القراخَطَائيين، وآثارها

إعداد

د/ عصــام عبـد الحليــم حلمـي هــلال
مـدرس التاريـخ الإسـلامي والحضـارة الإسـلاميـة
بكليـة اللغـة العربيـة جامعـة الأزهـر بإيتـاي البارود

(الــعـدد الواحد والأربعون)
(الإصـدار الأول.. أبريل)
الجزء الأول
(١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)

التحالفات السياسية لخوارزم شاه

علاء الدين محمد، ضد القراخَطَائيين، وآثارها

عصام عبد الحليم حلمي هلال

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، البحيرة، مصر.

البريد الإلكتروني: Esamhelal.2034@azhar.edu.eg

ملخص البحث

إن موضوع التحالفات السياسية للسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، ضد القراخَطَائيين، وآثار هذه التحالفات، من الموضوعات التاريخية المهمة، وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أن دراسة هذه التحالفات، والوقوف على أهدافها المختلفة، توضح بجلاء، طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، والدول المجاورة له، وقد رأيت أن أتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل في هذا البحث المتواضع، وجعلت عنوانه "التحالفات السياسية لخوارزم شاه، علاء الدين محمد، ضد القراخَطَائيين، وآثارها". وقد قسمته إلى تمهيد ومبحثين: عرَّفْتُ في التمهيد بالدولة الخوارزمية، والقراخَطَائيين. وتحدثت في المبحث الأول عن تحالف خوارزم شاه علاء الدين محمد وعثمان خان، ضد القراخَطَائيين، وآثار هذا التحالف. أما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن تحالف خوارزم شاه علاء الدين محمد وكوشلوك خان؛ زعيم النايمان، ضد دولة الخَطَا، وآثار هذا التحالف. وقد اتضح من خلال البحث أن القضاء على دولة الخَطَا كان له أثر سيئ على الدولة الخوارزمية والعالم الإسلامي؛ لأنها كانت حاجزًا قويًا، وسدًا منيعًا بينهم وبين القبائل المغولية المتعطشة لسفك الدماء، حيث قام جنكيز خان بإرسال جيش كبير للقضاء على كوشلوك خان وقومه، فأصبحت الحدود متصلة بين المغول والخوارزميين، الأمر الذي جعل الصدام بينهما أمراً محتوما، وهو ما كان.

الكلمات المفتاحية: التحالف، السياسي، علاء الدين، محمد، خوارزم شاه، نصرة الدين، عثمان خان، الخَطَا، القراخَطَائيين، كوشلوك خان، المغول.

Political alliances of Khwarezm Shah Aladdin Muhammed, Against the Qarakhatians, and their Effects

Essam Abdel Halim Helmy Helal
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Itay El-Baroud, Beheira, Egypt
Email: Esamhelal.2034@azhar.edu.eg

Abstract

The subject of the political alliances of Sultan Alaeddin Muhammad Khwarizm Shah, against the Qarakhatians, and the effects of these alliances, is one of the important historical topics. Muhammad Khwarizm Shah, and the neighboring countries.

I divided it into two sections: In the first section, I talked about the alliance of Sultan Aladdin Muhammad Khwarizm Shah, and Osman Khan, against the Qarakhatians, and the effects of this alliance. In the second topic, she talked about the alliance of Sultan Alaeddin Muhammad Khwarizm Shah, with Kuchluk Khan; The leader of the Neiman, against the state of error, and the effects of this alliance.

It became clear through the research that the elimination of the state of error had a bad impact on the algorithm state and the Islamic world; Because it was a strong barrier, and an impenetrable dam between them and the Mongol tribes thirsty for blood, where Genghis Khan sent a large army to eliminate Kuchluk Khan and his people, and the borders became connected between the Mongols and the Khwarezmians, which made the clash between them inevitable, which was what it was.

key words: ***The Political Alliance , Aladdin , Muhammad , Khwarizm Shah , Nusrat al-Din , Othman Khan , Khatta , Qarakhatians , Kuchluk Khan , The Mongols.***

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين،

وبعد:

فإن قبائل الخَطَا من القبائل التركية، التي نزحت من شمال الصين إلى إقليم التركستان، وقد نجحوا – قبيل الغزو المغولي للعالم الإسلامي– في إقامة دولة كبيرة، بين دولة الخوارزميين في الغرب، والمغول في الشرق، وكان يفصل الدولة الخوارزمية عن دولة الخَطَا نهر سيحون.

وقد امتدت أملاك الدولة القراخَطَائية إلى بلاد ما وراء النهر؛ بعد انتصارهم على السلطان السلجوقي سنجر (٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م) في معركة قطوان سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م، وقد أبقت دولة الخَطَا على الدولة الخانية، التي عرف حاكمها، نصرة الدين عثمان خان، بسلطان سمرقند وبخارى، وتلقب بخان خانات؛ أي سلطان السلاطين، وقد أبقى عليه القراخَطَائيين في مقابل الخضوع لهم، ودفع الجزية.

وكان حكام الدولة الخوارزمية يدفعون لدولة الخَطَا جزية كبيرة؛ لقوتها وشدة بطشها من جهة، ولأنها تقف كالسد المنيع بينها وبين قبائل المغول الهمجية المتعطشة لسفك الدماء، من جهة أخرى. وكان السلاطين الخوارزميون منذ عهد السلطان أتسز خوارزم شاه (٥٢٢-٥٥١هـ/١١٢٨-١١٥٧م)، إلى عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢١٩م)، يدفعون هذه الجزية الكبيرة لهم سنويًا.

ولكن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه رأى أنه من العار – وهو الحاكم المسلم – أن يدفع الجزية لحاكم الخَطَا البوذي، وقد شجعه على ذلك حاكم الدولة الخانية نصرة الدين عثمان خان، الذي أنف من الخضوع لدولة الخَطَا البوذية،

وتحالف مع علاء الدين خوارزم شاه ضد دولة الخَطَا، الأمر الذي أضعفها، وسهل سيطرة قبائل النايمان عليها بقيادة زعيمهم كوشلوك خان.

وقد انضم السلطان علاء الدين محمد إلى كوشلوك خان وقومه، وتحالف معهم ضد دولة الخَطَا، وساعدهم في القضاء على هذه الدولة، وسقطت بذلك دولة الخَطَا، واستولى كوشلوك خان وقومه على أملاكها، وحلوا محلها في مجاورة الدولة الخوارزمية.

وكان للقضاء على دولة الخَطَا أثر سيء على الدولة الخوارزمية والعالم الإسلامي؛ لأنها كانت حاجزًا قويًا، وسدًا منيعًا بينهم وبين القبائل المغولية المتعطشة لسفك الدماء، ولم تكن العلاقات بين السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، وكوشلوك خان، بأفضل من العلاقات بينه وبين دولة الخَطَا، وكادت أن تحدث بينهما حرب، ولكن حال دون وقوع هذه الحرب، قيام جنكيز خان بإرسال جيش للقضاء على كوشلوك خان وقومه، وبذلك أصبحت الحدود متصلة بين المغول والخوارزميين.

الدراسات القريبة:

توجد بعض الدراسات القريبة من الموضوع، أهمها:

١ـ بحث "الأصول التاريخية للخطا وتوسعاتهم العسكرية في تركستان ومنغوليا في العصر العباسي (٥١٣-٥٢٢هـ/١١١٩-١١٢٨م)". للدكتورة/ سعاد هادي حسن الطائي، وقد تناولت في هذا البحث لمحة جغرافية عن بلاد الخَطَا، ورحلة ابن بطوطة إليهم، والأصول التاريخية لتسميتهم، بالإضافة إلى أصولهم التاريخية، ولغتهم، وألقاب ملوكهم، وتوسعاتهم العسكرية في تركستان ومنغوليا. ولم يتناول هذا البحث أي جانب من جوانب "التحالفات السياسية لخوارزم شاه علاء الدين محمد، ضد القراخَطَائيين، وآثارها".

٢ـ بحث "العلاقات السياسية بين دولة الخَطَا والدول الإسلامية المعاصرة". للدكتور/ حامد غنيم أبو سعيد، وقد تناول هذا البحث العلاقات السياسية بين دولة الخَطَا –وهي دولة غير مسلمة– وأربع دول مسلمة؛ هي: الدولة السلجوقية، والدولة الخانية، والدولة الغورية، والدولة الخوارزمية، ولم يتعرض هذا البحث لموضوع "التحالفات السياسية لخوارزم شاه، علاء الدين محمد، ضد القراخَطَائيين"، إلا في سطور معدودة، لا تشفي الغليل.

ولما كان موضوع "التحالفات السياسية للسلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، ضد القراخَطَائيين"، من الموضوعات التاريخية المهمة، ولم تتعرض له الدراسات العلمية التي أعدها الباحثون المُحْدَثُونَ، إلا في سطور قليلة، ولا توجد عنه دراسة مستقلة، فقد رأيت أن أتناوله بالدراسة في هذا البحث المتواضع، وجعلت عنوانه "التحالفات السياسية لخوارزم شاه، علاء الدين محمد، ضد القراخَطَائيين، وآثارها".

وترجع أهمية هذا الموضوع إلى أن دراسة هذا التحالف، والوقوف على أغراضه المختلفة، هي وسيلة مهمة للكشف عن طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه والدول المجاورة له.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد ومبحثين:

فأما التمهيد، فقد عرَّفْتُ فيه بالدولة الخوارزمية، والقراخَطَائيين.

وأما المبحث الأول فعنوانه " تحالف خوارزم شاه علاء الدين محمد وعثمان خان، ضد القراخَطَائيين"، وقد تحدثت فيه عن رسالة عثمان خان إلى خوارزم شاه علاء الدين محمد، وموقف السلطان علاء الدين محمد من هذه الرسالة، والقتال الذي دار بين القراخَطَائيين والخوارزميين، وأسر القراخَطَائيين للسلطان علاء الدين محمد، وتحرره من الأسر وعودته لقتال القراخَطَائيين، وغدر عثمان خان بالخوارزميين بعد ذلك، وموقف خوارزم شاه من ذلك.

وأما المبحث الثاني فعنوانه " تحالف خوارزم شـاه علاء الدين محمد وكوشـلوك خان، ضـــد دولة الخَطَا"، وقد بدأته بالتعريف بقبيلة النايمان، وكوشـــلوك خان، ثم تحدثت عن رسـالة كوشـلوك خان إلى خوارزم شـاه علاء الدين محمد، والقتال الذي دار بين كوشلوك خان وكور خان ملك الخَطَا، واضطهاد كوشلوك خان للمسلمين في بلاده بعد ذلك، والعداء الذي ترتب على ذلك بين خوارزم شـــاه وكوشـــلوك خان، وأنـهيت هذا المبحث بالحديث عن قضاء المغول على كوشلوك خان ودولته.

ثم تحـدثـت في الخـاتمـة عن أهم النتـائج التي خرجـت بهـا من هـذا البحـث المتواضع، الذي أسأل الله عَزَّ وَجَلَ أن أكون قد وُفِّقْتُ فيه.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مصـــادر عديدة من أمهات الكتب في التاريخ والتراجم وغيرها، وقد ذكرتها جميعًا في ثبت المصـــادر والمراجع بآخر البحث. وقد أفادتني هذه المصـــادر كلها في اســـتقاء المادة العلمية الخاصـــة بالبحث؛ فمنها استقيت المادة العلمية التي شكلت الناحية التاريخية الخاصة بالبحث.

وأخيرًا، فـإني أرجو أن أكون قـد وفقت في هـذا البحـث، وأن يكون علمي فيـه خالصًا لوجه الله الكريم ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

تمهيد

أ- التعريف بالدولة الخوارزمية:

كانت الدولة الخوارزمية إحدى الدول التي قامت في منطقة خراسان[1]، وكانت تنسب إلى مؤسسها أنوشتكين، الذي كان عبداً اشتراه أحد أمراء السلاجقة[2]، ثم شغل منصب الطشتدار[3] إلى أن نُصِّبَ حاكماً على إقليم

---

(1) خراسان: ويشتمل إقليم خراسان على أربع مدن كبرى "نيسابور، ومرو، وبلخ، وهراة" وقصبتها مرو. ياقوت الحموي: أبو عبد الله بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٣٥٠. وإقليم خراسان الآن يقسم بين تركمنستان وإيران وأفغانستان. آمنه أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامه للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص٢٤٣.

(2) السلاجقة: تعود أصولهم إلى القبائل التركية التي عرفها العرب باسم (الغز)، والتي استطاعت في القرن السادس الميلادي أن تقيم امبراطورية ذات طابع بدوي امتدت من الصين إلى البحر الأسود، ويرجع نسب السلاجقة إلى أحد قادة الأتراك الغز -سلجوق بن دقاق- وقد نزح هؤلاء الغز - الذين اشتهروا بعد ذلك بالسلاجقة- من التركستان إلى بلاد ما وراء النهر. وكان القائد سلجوق بن دقاق هو أول من أسلم منهم، وقد دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) في عهد طغرلبك بن ميكائيل، وكان آخر سلاطين السلاجقة في العراق هو طغرلبك بن أرسلان شاه الذي قتل سنة ٥٩٠هـ (١٠٩٣م). أما عن فترة حكمهم في بلاد ما وراء النهر فكانت من سنة ٤٣١هـ/١١٣٩م إلى سنة٥٥٢هـ/١١٥٧م. انظر: صفي الدين: محمد بن محمد صفي الدين بن حامد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، تاريخ دولة آل سلجوق، قرأه وقدم له: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٧-٨. والنسوي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن علي (ت: ٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، سيرة جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، طبعة دار الفكر العربي، القاهر ة، بدون تاريخ، ص٥ (حاشية). وإيمان محمد إبراهيم عرفه: مدخل إلى تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي مع نصوص تطبيقية، دار الثقافة العربية، ٢٠١٣م، ص٤٨-٤٩.

(3) الطشتدار: اسم وظيفة يتألف من لفظة طشت المحرفة عن طست العربية، ومن لفظة دار الفارسية بمعنى ممسك، والمعنى ممسك الطست أو الموكل بالطست، وكان الطشتدار هو الذي يتولى صب الماء على يد مخدومه، والطشت الذي تغسل فيه الأقمشة. انظر: القلقشندي: أحمد بن علي بن أبي اليمن (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ، ج٤، ص١٠-١١. وحسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٢، ص٧٤٢.

خوارزم[١]، وتلقب بلقب خوارزم شاه، وكان أنوشتكين رجلًا محنكًا، وظل في منصبه حتى توفى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م [٢].

وقد بدأ خلفاء أنوشتكين يعملون على الاستقلال عن الدولة السلجوقية، وكان أول أمير خوارزمي يرفع لواء الاستقلال أتسز[٣]؛ وذلك عندما شعروا بضعفها، بل عملوا على القضـــاء عليها، وتم لهم ذلك، وأقاموا دولتهم على أنقاض الدولة السلجوقية وميراثها[٤]. واستطاع السلطان علاء الدين محمد [٥] خوارزم شاه مَدَّ

---

(١) إقليم خوارزم: هو أوزبكستان الحالية؛ فقد كانت تدعى بخوارزم، وقصبتها الجرجانية، وأهلها يسمونها كركانج. آمنة أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، ص١٠٤.

(٢) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول (غزو جنكيز خان للعالم الإســـلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية)، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص٢٥.

(٣) أتسـز: هو أتسـز بن محمد بن أنوشـتكين الملك، خوارزم شـاه، كان عادلًا، كافًا عن أموال الرعية، محببًا إليهم، وكان تحت طاعته السلطان سنجر شاه، مات سنة إحدى وخمسين وخمس مائة (١١٥٧م). الصـــفدي: صـــلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـــ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص١٢٤-١٢٥.

(٤) النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٤٩-٥٠ (حاشية). ومصطفى طه بدر: محنة الإســـلام الكبرى (أو زوال الخلافة العباســـية من بغداد على أيدي المغول)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص٥٦.

(٥) هو السلطان علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن إيل أرسلان بن أتسز بن قطب الدين محمد بن نوشتكين، أصبح سلطاناً للدولة الخوارزمية بعد وفاة والده، وذلك من عام (٥٩٦-١١٩٩م) إلى (٦١٧هـ-١٢١٩م). الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، ســـير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـــــ/٢٠٠٦م، ج١٥، ص٤٣٨.

حدود بلاده إلى الهند من ناحية الشرق بعد أن ضم بقايا الدولة الغورية[١] إلى ملكه عام ٦١١هـ/١٢١٤م[٢].

وكان السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي على خلاف مع الخلافة العباسية، ويعمل على بسط سيطرته عليها؛ حيث كان يرغب أن يأتمر الخليفة -الناصر لدين الله (٥٧٧-٦٢٣هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)- بأمره، ويذكر اسمه في خطبة الجمعة على منابر بغداد، كما كان الوضع زمن السلاجقة والبويهيين[٣]، وأمام رفض الخلافة قرر السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي دخول بغداد بقواته[٤].

---

(١) الدولة الغورية كان مقرها بلاد الغور، المجاورة لغزنة، وكان الغور يقطعون الطريق، ويخيفون السبيل، وبلادهم جبال وعرة، وقامت لهم دولة مستقلة في هذه المنطقة، تتخذ من فيروزكوه عاصمة لها، وكان الغور لا يدينون بالإسلام، حتى غزاهم السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، كما شكلوا خطرًا جسيمًا على الدولة الغزنوية، وكان يعاصر السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه من ملوك الدولة الغورية الأخوين غياث الدين وشهاب الدين، وهما اللذان كانا يسيطران على هراة، وغزنين، وبلخ، وكابل، وسجستان، وكرمان، واستولى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه على عاصمتهم فيروزكوه، وضمها إلى دولته. انظر ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١٠، ص٢٥٧-٢٥٨. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٦٣-٦٥.

(٢) مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ص٥٧.

(٣) البويهيون: من العناصر الفارسية التي سيطرت على شرق الدولة الإسلامية، وهم شيعة من بلاد الديلم، كانوا حاقدين على الإسلام، وبدرت منهم أعمال منكرة ضد الإسلام، واستتب الأمر لبني بويه لمدة قرن من الزمن ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م، حيث انتهي دورهم بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. صفي الدين: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٥٣. وعصام عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في الشرق الإسلامي، ص٢٠-٢٢.

(٤) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. (المعروف بتاريخ ابن خلدون)، تحقيق: خليل شحادة، ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٥، ص١٢٨.

ويبدو أن الســـلطان علاء الدين محمد الخوارزمي بدأ يروج إعلامياً لضـــربته العســـكرية القادمة فقام بإعلان أن الخلافة العباســـية لا تقوم بواجبها في الجهاد، ومتقاعســـــة عن حمـاية الثغور، وإخمـاد الثورات، كمـا أعلن بعد ذلـك بقليـل أن العباسيين مغتصبون للخلافة، وأن آل عليٍّ أحق منهم بها، وقد قام السلطان علاء الدين محمد باعتناق مبادئ الشـيعة؛ ولذلك لم يجد حرجاً في أن يعلن إسـقاط اسـم الخليفة العباسي الناصر لدين الله[1] من الخطبة، مستنداً إلى فتوى أصدرها جماعة من علماء بلاد ما وراء النهر[2]، قضـــت بعدم أهليته للخلافة، وبالتالي فقد اختاروا أحدًا من أبناء الحســـين بن عليّ بن أبي طالب في مدينـة ترمذ[3]، ويدعى علاء

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله، ولد سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨م)، وأمه أم ولد تركية اسمها زمرد. الكتبي: محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٦٦. والقلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٧٦. والسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٥٢.

(2) بلاد ما وراء النهر: هي البلاد التي تقع خلف نهر جيحون، وهو اسم جغرافي يطلق على المنطقة الواقعة بين نهر جيحون وسيحون. انظر محمود قمر: الإسلام والمسلمين في شرق آسيا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٥.

(3) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦. والحِميرى: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص١٣٢. وهي الآن مدينة في اوزبكستان على نهر آمودريا، قريبة من الحدود الأفغانية. يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص٤١١.

الدين أبو المكارم محمد بن جعفر بن طاهر الحسيني، ونصبوه خليفة، وخطب له على المنابر، ونقش اسمه على السكة[١].

والواضح أن خوارزم شاه كان يهدف لاستمالة الشيعة في المنطقة لمساعدته في مخططاته خاصة شيعة العراق، وتدخلت السفارات عند السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي، ولكن ذلك لم يثنه عن غزو بغداد[٢]. وتحرك بجيش جرار قدره اليافعي[٣] بأربعمائة ألف فارس. ولما وصل إلى أسد أباد[٤] هبت عواصف ثلجية شديدة أهلكت أعداداً من الجند والدواب والمؤن، وتعرض الجنود الباقون لغارات الأتراك والأكراد، مما أضطره إلى العودة إلى بلاده[٥].

والواقع أن الدبلوماسية الإسلامية لم يحالفها التوفيق في هذه المرحلة؛ إذ لم يتمكن الخوارزميون والعباسيون من بناء علاقات وطيدة وتحالفات بينهم، كما لم يوفق الخوارزميون في كسب ثقة القوى الإسلامية القريبة منهم، ويبدو أن الجهود كانت مبعثرة ويعوزها التنسيق فيما بينها.

وقد يقال إن الدولة الخوارزمية قبيل غزوات المغول كانت تبدو أقوى الدول الإسلامية. وهذا صحيح إذا وقفنا فقط عند ظواهر الأمور، أما إذا تعمقنا في المسائل، ونظرنا إلى بواطنها، فإنه يتبين لنا بوضوح أن هذه الدولة كانت في

---

(١) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٤٧-٤٩.

(٢) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٧٠-٧١.

(٣) محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت: ٧٦٨هـ/١٢٦٩م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٤، ص٢٣-٢٤.

(٤) أسد آباد: هي منطقة بينها وبين همذان مرحلة واحدة وقد نسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم والحديث، منهم: أبو عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم الأسد آباذي، وتوفي سنة ٣٤٧هـ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١٧٦.

(٥) اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص٢٤.

الحقيقة تحمل عوامل الضــعف والانحلال؛ إذ كانت طبقة العســكريين، ومعهم والدة الســلطان علاء الدين محمد خوارزم شــاه –التي تدعى تركان خاتون– تناصــب السلطان علاء الدين محمد العداء الصريح، وتتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شئون الدولة، ولم يكن رجال الدين ليغفروا للسلطان مقتل مجد الدين البغدادي[1] أحد كبار المتصــوفين في ذلك العصــر، والذي كان من تلاميذ إمام المتصــوفين نجم الدين كُبْرَى[2] مؤسـس الطائفة الكُبْرَاوية الصـوفية، ولم يكن من السـهل على رجال الدين أيضًـا اغتصـاب الفتوى منهم ضـد الخليفة، كما أن الشـعوب الإسـلامية التي كان الســلطان علاء الدين محمد قد حررها من حكم الكفار، قد ثاروا على محرريهم؛

---

(1) مجد الدين البغدادي: هو مجد الدين أبو ســعد شــرف بن المؤيّد بن أبي الفتح بن غالب البغداديّ الخوارزميّ الحكيم الصـوفي، ولد بخوارزم سـنة أربع وأربعين وخمسـمائة، ونشـأ بها، وكان في حياة والده في خدمة السلطان تكش بن ايل أرسـلان، ومات في شـهر جمادى الآخرة ســنة ســبع وســتّمائة. ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضــل عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ج٤، ص٤٢٣–٤٢٤. وحاجي خليفة: مصطفى أفندي ابن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسـيكا، إسـتانبول، تركيا، ٢٠١٠م، ج٢، ص١٦٤. وج٥، ص٢٨١.

(2) نجم الدين كُبْرَى: هو أبو الجناب أَحْمد بن عمر بن مُحَمَّد الخيوقي الصُّـوفِي سَـاكن خوارزم، طَاف الْبِلَاد وَسـمع بهَا، وَهُوَ شـيخ الصُّـوفِيَّة بِتِلْكَ النَّاحِيَة، شَـافِعِيّ الْمَذْهَب، ثِقَة، إِمَام فِي السّنة، تولى حملة التصدي والجهاد ضد المغول في خوارزم، ونال الشـهادة إثر سـهم أصـابه في صــدره ســنة ٦١٨هـــ (١٢٢١م). ابن نقطة: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ج٢، ص٦٣. والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص١١٨. والصـفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٧٢. والسـبكي: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٨، ص٢٥.

نتيجة سوء تصرف جنوده وأتباعه، ولم يستطع السلطان إخضاع هذه الشعوب إلا بإراقة أنهار من الدماء، مما أوغر صدورهم عليه، وكرههم في حكمه، وكذلك لم يكن في مقدور السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي أن يعتمد على عنصر واحد سليم من العناصر التي تكون جهاز الحكم، أو على طبقة واحدة من طبقات الشعب، ومن هنا يمكننا أن نفهم النتيجة الحتمية للنضال الذي سوف ينشب بين هذه القوة، وبين قوات البدو الجديدة (المغول)[1] التي اتحدت في ذلك الحين تحت قيادة واحد من أعظم القواد الموهوبين قدرة على التنظيم هو جنكيز خان[2].

---

(1) نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا، شمال صحراء جوبي، وهي تمتد في أواسط آسيا، جنوبي سيبيريا، وشمال التبت، وغربي منشوريا، وشرقي التركستان بين جبال التاي غربًا، وجبال خنجان شرقًا، ولم يكن للمغول قبل خروج جنكيز خان رئيس أو حاكم، وكانت كل قبيلة أو اثنين تعيشان منفصلتين لا تتفقان، وكان النزاع والخصام قائم بينهم، وكان بعضهم يعتبر السرقة، والزور، والفسق، والفجور من الشجاعة والبطولة، وكانت ملابسهم من جلود الكلاب والفئران، وطعامهم من لحومها، وشرابهم من ألبان البهائم، وظلوا يعيشون في شظف من العيش، حتى ارتفعت راية دولة جنكيز خان. الجويني: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي)، تحقيق وتصحيح: محمد بن عبد الوهاب القزويني، وترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ج١، ص٦٢. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٣٠-٣١.

(2) إدوارد جرانفيل بروان: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٦٢٩-٦٣٠. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المرجع السابق، ص٩٠-٩١.

وجنكيز خان: كان اسمه أول الأمر تيموجين، وولد في منغوليا سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م)، ووالده يدعى يسوكاي بهادر بن برتاب بهادر، وقد توفى والده وهو في الثالثة عشرة من عمره، فانفض عنه أكثر الأقارب والأتباع، واستغلت قبيلته صغر سنه، ورمته بالضعف، ورفضت أن تطيعه، وأعلنت التمرد والعصيان، ولكن تيموجين أخذ يعمل على جمع الأنصار وخوض المعارك، وكانت والدته تشجعه على ذلك حتى تمكن بعد أربع سنوات من أن يسترد قيادته لقبيلته، وبدأ بذلك خطواته الأولى نحو تكوين الامبراطورية. انظر: الجوزجاني: منهاج الدين عثمان بن سراج الدين (ت: ٦٩٨هـ/١٢٩٨م)، طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: ملكة على التركي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ج٢، ص١١٦-١٢٠. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المرجع السابق، ص٣٩-٤٢.

كما يبدو أن الدولة الخوارزمية في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢١٩م) الذي كان يعاصر جنكيز خان، بلغت أقصى اتساعها[١]، وشملت إيران، وبلاد ما وراء النهر، وقد كانت علاقته مع الدول الإسلامية وغيرها تقوم على الخلاف والنزاع، ومحاولة التوسع على حساب بعضهم البعض، مما أدى إلى إضعافها جميعًا، وإضعاف الدولة الخوارزمية تبعًا لذلك، وكان من الممكن أن تكون هذه الدول عوناً للدولة الخوارزمية في تصديها للمغول، وأن تعرقل تقدمهم، وتقف في وجههم.

وقد أشار ابن الأثير[٢] إلى ذلك عندما تحدث عن سبب نجاح المغول في غزوهم للبلاد الإسلامية، فقال: "إن هؤلاء التتر إنما استقام لهم الأمر لعدم المانع، وسبب عدمه أن خوارزم شاه محمداً كان قد استولى على البلاد، وقتل ملوكها وأفناهم، وبقى هو وحده سلطان البلاد جميعاً، فلما انهزم منهم لم يبق في البلاد من يمنعهم، ولا من يحميها (ليقضي الله أمراً كان مفعولا)".

ب ـ التعريف بالقراخَطَائيين:

القراخَطَائيون إحدى القبائل التي كانت تسكن شمال الصين، وقد حدث في بداية القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ أن ظهر من بينهم زعيم قوي أخضع هذه القبائل لسلطنته، ونصب امبراطورًا عليهم من سنة ٣٠٤-٣١٥هـ/٩١٦-٩٢٧م، وسمى نفسه تاي سو، واستطاع خلفه أن يخضع شمال بلاد الصين، ثم منح أسرته

---

(١) انظر ملحق رقم(١)، حيث تظهر الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها.

(٢) الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٣٥. وانظر أيضًا ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١٧، ص٩٠.

لقب لياؤو؛ نسبة إلى الإقليم المسمى بهذا الاسم، وقد استمرت هذه الأسرة تحكم من سنة ٣٠٤-٥١٩هـ/٩١٦-١١٢٥م[١].

وفي النصف الأول من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) اضطربت الأحوال السياسية في شمال الصين، وتعرضت البلاد لموجة من الاضطراب وعدم الاستقرار؛ حيث تعاقب على حكم هذه المناطق عدة أُسَر، كانت الواحدة منها تقضي على الأخرى؛ منتهزة فترة ضعفها وانحلالها[٢].

وقد ترتب على هذا الاضطراب السياسي، أن نزحت قبائل الخَطَا من موطنهم الأصلي في شمال الصين، إلى إقليم التركستان[٣]، واستقروا في غرب هذا الإقليم، وكونوا دولة في ولاية كاشغر[٤]

---

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٢٣. وعباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٤٨.

(٢) المرجعان نفسهما.

(٣) تُرْكِسْتَانُ: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٣. وهي الآن تمتد مساحتها من نهر سيحون غربًا حتى الحدود الغربية للصين، وصحراء جوبي المغولية شرقًا، ومن شمال التبت جنوبًا إلى حدود سيبيريا شمالًا. صبري عبد اللطيف سليم: قيام دولة القراخطاي في تركستان (٥١٨هـ-١١٢٣م/٥٢٧هـ-١١٤٢م)، مجلة كلية دار العلوم بالفيوم، العدد السابع عشر، يونيو ٢٠٠٧م، مصر، ص٦.

(٤) كاشغر: مدينة قديمة كان يسافر إليها من سمرقند، وكانت وسط بلاد الترك، أهلها مسلمون، وهي مدينة من بلاد الصين، عامرة كثيرة الخيرات، وفيها متاجر وبضائع، وانتشر فيها الاسلام عن طريق التجار، والفتوحات الإسلامية، والغزو المغولي لبلاد المسلمين، وهي آلان مدينة منغولية واقعة في أقصى الغرب من البلاد، قريبة من تاجكستان إلى الغرب، وكشمير إلى الجنوب، وهي على حافة صحراء تكلامكان، فيها العديد من الآثار والمساجد الإسلامية. آمنه أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، ص٤٥٣. ويحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٢٧.

وختن[١]، عرفت باسم القراخَطَائيين. وقد استطاع ملوك هذه الدولة الذين كان يلقب كل واحد منهم بلقب كورخان -أي ملك الملوك- توسيع مملكتهم الجديدة شرقًا وغربًا حتى امتدت حدودها من صحراء جوبي[٢] إلى نهر سيحون، ومن هضبة التبت[٣] إلى سيبيريا[٤]، وكان تكوين هذه الدولة ومجاورتها للبلاد الإسلامية من الأمور التي شغلت الحكام المسلمين في ذلك الوقت، خصوصًا وأن القراخَطَائيين كانوا يدينون بالبوذية[٥].

---

(١) خُتَنُ: بضم أوله، وفتح ثانيه، وآخره نون: بلد وولاية دون كاشغر ووراء يوزكند، وهي معدودة من بلاد تركستان، وهي في واد بين جبال في وسط بلاد الترك، وبعض يقوله بتشديد التاء، وينسب إليه سليمان بن داود بن سليمان أبو داود المعروف بحجاج الختني. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٤٧.

(٢) صحراء جوبي: هي أهم صحراء في منغوليا في الجنوب الغربي، ويطلق عليها صحراء غوبي. آمنه أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، ص٤٥٢.

(٣) هضبة التبت: تقع في أواسط وغرب الصين، بحيث تعتبر أعلى منطقة جبلية بها. آمنه أبو حجر: المرجع السابق، ص٣٢٩.

(٤) سيبيريا: تقع في حوض نهر الفولغا، وهي من الجمهوريات ذات الحكم الذاتي، ومساحتها ١٢،٧٥٦،٠٠٠كيلو متر مربع. آمنه أبو حجر: المرجع السابق، ص٣٧٠.

(٥) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٦٥. والبوذية: نسبة إلى مؤسسها بوذا؛ أي الحكيم والمستنير والمبارك، كانت ولادته سنة ٥٦٠ ق.م، وذكر سنة ٥٦٣ق.م، توفى في ولاية بهار بالهند سنة ٤٨٠ ق.م، وكان بوذا أميراً، عاش في ترف ونعيم، إلا أنه سرعان ما تذمّر من هذهِ الحياة، وشعر بمشاكل الناس الفقراء؛ ولهذا ترك هذهِ الحياة، وعاش منعزلاً في إحدى غابات الهملايا، وحارب بوذا عقيدة التناسخ، وعدّها أساس كل المشاكل، وجّه عنايته نحو الأخلاق والمبادئ السامية مثل الإخلاص والوفاء وغيرها.. لمزيد من التفاصيل انظر طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ج٢، ص٣٨١-٣٨٧.

وبعد أن تَغَلَّبَ القَراخَطَائيون على بلاد ما وراء النهر وتركستان، دخل في طاعتهم الأويغوريون[١]، وعلى رأسهم أميرهم بارجوق[٢]، وقبلوا أن يدفعوا لهم الخراج. وقد أرسل كورخان ملك القراخَطَائيين إلى الأويغوريين شحنة[٣] من قبله، سلك فيهم طريق الظلم والعسف، وكان يشق عليهم في طلب الأموال بغير حق، فتضايقوا جدًا من صنيع القراخَطَائيين، فكرهوا حكمهم، وتمنوا لو تخلصوا منهم[٤].

وفي ذلك الوقت علم الأويغوريون بأنباء انتصارات جنكيز خان واستيلائه على بلاد الخَطَا، وسيطرته على كافة القبائل المغولية، وكانت تصل إليهم تباعًا أخبار بطشه وجبروته، فاستغل أيدي قوت ملك الأويغوريون هذه الفرصة، وأعلن الثورة على القراخَطَائيين، وقتل شحنتهم. ثم أرسل رسله إلى جنكيز خان ليقدموا له فروض الطاعة، ولم يقف أمره عند هذا الحد، بل سار بنفسه سنة ٦٠٦هـ (١٢٠٩م) لزيارة جنكيز خان، وأتحفه بجملة من الهدايا الفاخرة، فرحب به جنكيز خان، وأكرم وفاته.

---

(١) الأويغور: أصلهم من الترك، وهم الذين كانوا يؤمنون بالديانة المانوية، وكانوا أكثر تحضرًا من سائر قبائل الترك والمغول بصفة عامة. وكان موطنهم شمال شرق تركستان الشرقية الحالية، وشمال بحيرة لب نور ونهر تاريم، أي مدن تورفان وبيش باليغ (جوتشن الحالية) وبرقول وقره شهر. انظر: جورج لاين: عصر المغول، ترجمة: تغريد الغضبان، ومراجعة: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/٢٠١٢م، ص٣٤ (حاشية). وعباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ص٤٨-٤٩.

(٢) وكانوا يطلقون على أميرهم أيدي قوت، ومعناه سيد الدولة. الجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٨١.

(٣) شِحْنة: الجماعة يقيمُها السلطان في بلدٍ ما لِضَبْطِه. الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ج٤، ص١٠٩.

(٤) الجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٨١.

ومنذ ذلك التاريخ صار الأويغوريون من أتباع جنكيز خان ومناصريه[١]. ونتيجة لاختلاط المغول بالأويغوريين شاع الخط الأويغوري بين جنكيز خان وأتباعه، وأقبل المغول على تعلم الخط الأويغوري، وصاروا يدونون به سجلاتهم وكتاباتهم[٢].

وهؤلاء القراخَطَائيين هم الذين تغلبوا على السلطان سنجر[٣] بتحريض من أتسز خوارزم شاه، وذلك في موقعة قطوان سنة ٥٣٦هـ (١١٤١م). وقد قتل في هذه المعركة ما يقرب من مائة ألف من عساكر المسلمين، منهم اثنا عشر ألفًا من أصحاب العمائم، ووقعت زوجة السلطان سنجر أسيرة في أيديهم، وولى هو الأدبار[٤]. وبذلك استقرت دولة القراخَطَائيين في بلاد ما وراء النهر، واستمروا يحكمونها حوالي تسع وثمانين سنة، وكذلك أخضعوا البلاد التي كانت في أيدي أعقاب الايلك خان الذين كانوا يكونون في منطقة ما وراء النهر دولة عرفت في

---

(١) ابن العبري: غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الطيب (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسته: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٩٨-٣٩٩. والجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٨١.

(٢) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٥٠-٥١.

(٣) السلطان سنجر: هو أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق؛ سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر، وخطب له بالعراقيين، وأذربيجان، وأران، وأرمينية، والشام، والموصل، وديار بكر، وربيعة، والحرمين، وضربت السكة باسمه، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين، وكان من أعظم الملوك همة، وأكثرهم عطاء. ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج٢، ص٤٢٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١١٩.

التاريخ باسم الأفراسيابية أو الخانية أو الايلك خانية، وهي الأسرة التي حكمت هذه البلاد أكثر من مائتي سنة بعد السامانيين[١]، وقبل المغول[٢].

ولما كانت هذه الأسرة من الأتراك المسلمين، فإن القراخَطَائيين أبقوا عليهم، واكتفوا بأخذ الخراج منهم، ونصبوا حامية من قبلهم في بلاطهم، وكان نصر الدين عثمان خان[٣] هو آخر ملوكهم، وقد اختار الإقامة في سمرقند[٤]،

(١) السامانيون: يرجع نسب السامانيين إلى القائد الساساني بهرام جوبين، وكان جدهم سامان خداه يحكم منطقة سامان ــ من نواحي بلخ ــ ويدين بالزردشتية، ثم أسلم في الفترة الأخيرة من العصر الأموي، كما لمع اسم سامان بين أصحاب أبي مسلم الخراساني حين نهض بالدعوة للعباسيين، ويعد إسماعيل بن أحمد المؤسس الحقيقي للدولة السامانية، وحكموا في الفترة من ٢٧٩هـ (٨٩٢م) إلى ٣٨٩هـ (٩٩٨م). النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر (ت: ٣٤٨هـ/٩٥٩م)، تاريخ بخارى، تعريب: أمين عبد المجيد البدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ص٩٠-٩٢. وإيمان محمد إبراهيم عرفه: مدخل إلى تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي مع نصوص تطبيقية، ص٣٥-٣٦. وعصام عبد الرؤوف الفقي: الدول المستقلة في الشرق الإسلامي، ص١٢.

(٢) العروضي: نجم الدين أحمد النظامي (توفى نحو: ٥٦٠هـ، وقيل ٥٧٠هـ)، جهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب، نقله إلى العربية: عبد الوهاب عزام، ويحي الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص١٠٧-١٠٨. وعباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ص٤٨.

(٣) هو الأمير القراخاني نصرة الدين قلج أرسلان خاقان عثمان بن قلج طمغاج خان إبراهيم الملقب بلقب خان خانان، أي سلطان السلاطين. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٢. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص١٢٢. وسعد بن محمد الغامدي: الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي (٩٢-٦٢٩هـ/٧١١-١٢٣١م)، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٤٥٤.

(٤) سمرقند: بلد مشهور قريب من بخارى، فيما وراء النهر، وهي من أجل البلدان وأعظمها قدرا. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٦-٢٤٧. والقزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت، بدون تاريخ، ص٤٣٤. وهي الآن مدينة من أعظم مدن جمهورية أوزبكستان. يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤١٢.

وتلقب بلقب سلطان السلاطين[١].

ونتج عن استيلاء القراخَطَائين على منطقة ما وراء النهر، أنهم أصبحوا يجاورون ممالك الدولة الخوارزمية، وكان السلطان أتسز خوارزم شاه يتجنبهم، ويخشى الاحتكاك بهم، فقَبِلَ أن يدفع لهم جزية سنوية مقدارها ثلاثون (٣٠٠٠٠) ألف دينار من الذهب، حتى لا يتعرضوا له بسوء. وقد ظل هذا الإجراء متبعًا حتى عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه[٢].

(١) العروضي: جهار مقالة، ص١٠٧-١٠٨. والهمذاني: رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة (ت:٧١٨هـ/١٣١٨م)، تاريخ جنكيز خان، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، مخطوط محفوظ بمكتبة أيا صوفيا، تحت رقم ٣٠٣٤، استنبول، تركيا، ص١٨٣.

(٢) العروضي: المصدر السابق، ص١٠٨.

المبحث الأول

تحالف خوارزم شاه علاء الدين محمد وعثمان خان ضد القراخطائيين

رسالة عثمان خان إلى خوارزم شاه علاء الدين محمد:

لم يكن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه بالشخص الذي تقف أطماعه عند حد، وقد نظر فوجد أنه استولى على ممالك كثيرة، وأحس بأنه يحط من قدره، ويلحق به العار؛ إذا استمر على سياسية الخضوع والتبعية لملك بوذي، ودفع الجزية له، وقد شجعه على انتهاج سياسة الشدة إزاء هؤلاء القوم؛ ما كان يصله من صاحب سمرقند (عثمان خان) من رسائل تحضه على مهاجمة القَرَاخَطَائيين، وفيها تعهد صريح من عثمان خان بأن يكون حليفًا أمينًا له، وتابعًا مخلصًا، وبأن يدفع له الجزية التي كان يدفعها للخَطَا، بل ويسك السكة باسمه، ويدعو له على منابر سمرقند وبخارى[1]؛ فقد كتب إليه في إحدى هذه الرسائل: "إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك، وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار، وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم في الأموال والأبشار، ونحن نتفق معك على محاربة الخطا، ونحمل إليك ما نحمله إليهم، ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة"[2].

---

(1) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٣. والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٠٩. وهي الآن من أعظم مدن جمهورية أوزبكستان. يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٠٩.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٢. وانظر أيضًا: أبا الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٠٩. وابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص١٢٣.

ومن هذه الرسالة يتضح أن عثمان خان صاحب سمرقند وبخارى، قد عرض على السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه أن ينقذ بلاد المسلمين من الكفار، ويخلصهم من تحكمهم في أقدارهم وأموالهم، ووعده بأن يتعاون معه ضد هؤلاء الخَطَا، وأن يدفع له ما كان يدفعه لهم، وأن يذكر اسمه في خطبة الجمعة، ويكتب اسمه على العملة.

موقف السلطان علاء الدين محمد من رسالة عثمان خان:

أبدى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه تخوفه من عدم تنفيذ عثمان خان –صاحب سمرقند – ما وعد به، فرد عليه بقوله: "أخاف أنكم لا تفون لي". ونتيجة لهذا التخوف أرسل سلطان سمرقند وفداً من قبله من وجوه أهل بخارى وسمرقند وأعيانهم، وذلك ليكونوا رهينة عند السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه(١). يقول ابن الأثير(٢): "بَعْدَ أن حلفوا صاحبهم على الوفاء بما تضمنه، وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل".

وبعد أن أطمن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه واستوثق من أمر سلطان سمرقند، وجعل الرهائن تحت يده وسيطرته، شرع في إصلاح أمر خراسان، وتقرير قواعدها، فولى أخاه علياً شاه في طبرستان(٣)، وأمره بالحفظ والاحتياط، وعين الأمير كُزْلَكَ خَانْ ـــ وهو من أقارب أمه، وأعيان دولته ـــ على نَيْسَابُور(٤)،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٢. والهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) طبرستان: من بلاد خراسان، وهي بلد عظيم كثير الحصون والأعمال منيع بالأودية، وأهله أشراف العجم وأبناء ملوكهم، وهم أحسن الناس وجوهاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣. والحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٨٣.

(٤) نيسابور: مدينة إيرانية مشهورة واقعة غرب مشهد في أقصى الشمال الشرقي من البلاد، وهي عاصمة خراسان في القديم. يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٢٨٦.

وجعل معه عسكراً، وعين الأمير جُلْدَكَ على مدينة الْخَامِ، وولى الأمير أمين الدين أبا بكر مدينة زَوْزَن[1].

القتال بين الخَطَائيين والخوارزميين، وأسْر علاء الدين:

عندما وصلت أخبار الجيش الخوارزمي وحلفائه إلى ملك الخَطَا، استعد استعدادا كبيراً لمواجهة هذا الجيش الذي انضم فيه إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه، حلفاؤه من سمرقند، وقد استمر القتال بينهم طويلاً، ثم انهزم الخوارزميون هزيمة قبيحة، وأسر كثير منهم، وقتل كثير، وكان من جملة الأسرى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، وأسر معه أمير كبير يقال له: فلان بن شهاب الدين مسعود، أسرهما رجل واحد[2].

ووصلت عساكر السلطان علاء الدين خوارزم شاه، ولم يروا السلطان معهم، فأرسلت أخت كُزلك خان ـ صاحب نَيسابور ـ إليه وهو يحاصر هراة [3]، وأعلمته بما

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٢. ومدينة زُوزَنُ: هي كورة واسعة بين نيسابور وهراة، ويحسبونها في أعمال نيسابور، كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة من أخرجت من الفضلاء والأدباء وأهل العلم. ياقوت الحموي: معجم البلدان البلدان، ج٣، ص١٥٨. "وكان أمين الدين هذا حمالًا، ثم صار من أكبر الأمراء، وهو الذي ملك كرمان". انظر: ابن الأثير، نفسه. وكرمان: مدينة أفغانية بين غزنة والهند، وبها آثار ومساجد إسلامية. يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٢٤٤.

(2) أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ج٣، ص١٠٩. وابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢٤. وانظر أيضًا: سليمان بن حمد بن عبد الله العودة: كيف دخل التتر بلاد المسلمين، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٨.

(3) هَرَاةُ: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٦. والقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٨١. وهراة الآن مدينة أفغانية تقع في الشمال الغربي من البلاد على الحدود الأفغانية الإيرانية، وهي من كبريات مدن أفغانستان. آمنه أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، ص٦٦.

حدث للسـلطان علاء الدين محمد، فسـار عن هراة ليلاً إلى نَيسـابُور، وأحَسَّ به الأمير أمين الدين أبو بكر ــ صاحب زَوْزَن ــ وعمل على منعه هو والأمراء الذين كانوا عنده من الذهاب إلى نَيسـابور؛ وذلك مخافة من أن يجري بينهم حرب يطمع بسببها أهل هراة فيهم، فيخرجون إليهم، فيفعلون بهم ما يريدونه(١).

وكان السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه قد خرب نيسابور عندما استولى عليها من الغورية، فعمل كُزلك خان على إعادة تعميرها، وأدخل إليها الميرة، واستكثر من الجند، وعزم على الاستيلاء على خراسان، وذلك إن صح فَقْد السلطان الخوارزمي، ووقوعه في الأسر، وقد بلغ أيضاً خبر أسر السلطان إلى أخيه علي شاه، فقام بقطع الخطبة لأخيه، واستعد لطلب السلطنة(٢).

والواقع أن انتشار خبر أسر السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه ووصوله إلى مسامع الناس والولاة في دولته، كان له أكبر الأثر في اضطراب أحوال الدولة؛ حيث قام أخوه عَلِيّ شاه بقطع الخطبة له، وعمل على طلب السلطنة، وتوجه كُزلك خان إلى خراسان للاستيلاء عليها، فاضطربت أحوال البلاد كثيرا.

تحرر علاء الدين من الأَسْر وعودته لقتال القراخطائيين:

وأما السلطان علاء الدين خوارزم شاه، فإنه لما أُسِر كما يقول ابن الأثير(٣): "قال له ابن شهاب الدين مسعود: يجب أن تدع السلطنة في هذه الأيام، وتصير خادماً؛ لعلي أحتال في خلاصك. فشرع يخدم ابن مسعود، ويقدم له الطعام، ويخلعه ثيابه وخفه، ويعظمه، فقال الرجل الذي أسرهما لابن مسعود: أرى هذا الرجل يعظمك،

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٥. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٧-٥٨.

(٢) ابن الأثير: نفسه.

(٣) نفسه. وانظر أيضًا أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٠٩. وابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢٤. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٨.

فمن أنت؟ فقال: أنا فلان، وهذا غلامي. فقام إليه وأكرمه، وقال: لولا أن القوم عرفوا بمكانك عندي لأطلقتك، ثم تركه أياماً. فقال ابن مسعود: إني أخاف أن يرجع المنهزمون، فلا يراني أهلي معهم، فيظنون أني قتلت، فيعملون العزاء والمأتم، وتضيق صدورهم لذلك، ثم يقتسمون مالي، فأهلك، وأحب أن تقرر عليَّ شيئاً حتى أحمله إليك. فقرر عليه مالاً، وقال له: أريد أن تأمر رجلاً عاقلاً يذهب بكتابي إلى أهلي ويخبرهم بعافيتي، ويحضر معه من يحمل المال. ثم قال: إن أصحابكم لا يعرفون أهلنا، ولكن هذا غلامي أثق به، ويصدقه أهلي، فأَذِنَ له الخطائي بإنفاذه، فسيره وأرسل معه الخطائي فرسًا، وعِدَّة من الفرسان يحمونه، فساروا حتى قاربوا خوارزم، وعاد الفرسان عن خوارزم شاه، ووصل خوارزم شاه إلى خوارزم، فاستبشر به الناس وضربت البشائر وزينوا البلد".

وأما ابن شهاب الدين مسعود فإنه أقام عند الخَطَا مُدة، وقد سأله الذي استأسره يوماً عن علاء الدين الخوارزمي، فأخبره ابن شهاب عن حقيقة السلطان علاء الدين محمد. فقال له الخطائي: "لِمَ لَمْ تُعرفني عليه حتى أخدمه بنفسي، وأسير معه بين يديه إلى مملكته؟". فقال له ابن شهاب: "خفتكم عليه. فقال له الخطائي: "سِر بنا إليه". فسارا إليه، فاستقبلهما السلطان علاء الدين محمد، وأكرمهما، وأحسن إليهما، وبالغ في ذلك[1].

ولما وصل خوارزم شاه إلى خوارزم، أتته الأخبار بما فعله كُزْلَك خَانْ وأخوه عَلِيٌّ شَاهْ وغيرهما، فسار إلى خراسان وتبعته العساكر، وبلغ كُزْلَكَ خَانْ وصوله، فجمع أمواله وأمتعته وعساكره، وفر هاربًا نحو العراق، وبلغ أخاه علياً شاه وصول خوارزم شاه إلى خراسان، فخافه، وسار على طريق قُهِسْتَان ملتجئًا إلى غياث الدين

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٦-٢٥٧.

محمود بن محمد بن سام الغوري، صاحب فَيْرُوزَكُوه[١] فاستقبله استقبالًا حسنًا، وأكرمه، وأنزله عنده[٢].

وعندما وصل السلطان خوارزم شاه إلى نيسابور ودخلها، عمل على إصلاح أمرها، وقد جعل فيها نائباً من قبله، وبعدها سار إلى مدينة هراة، فنزل عليها مع العساكر الذين كانوا يحاصرونها من قبله، وقام بالإحسان إلى أمراء هراة، ووثق بهم؛ لأنهم قد صبروا على امتثال أمره في تلك الحال، ولم يتغيروا، وملك خوارزم شاه مدينة هراة، وذلك سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م)، وقد أصلحها، وسلمها إلى خاله أمير مُلْك، وهو من أعيان أمرائه، فلم تزل بيده حتى هلك خوارزم شاه[٣].

ولما سَلَّم خوارزم شاه مدينة هراة إلى خاله أمير مُلْك، أمره أن يذهب إلى غياث الدين محمود الغوري، صاحب الغور وفيروزكوه، وأن يقوم بالقبض عليه، وعَلَى عَلِيّ شاه أخي السلطان، وأن يأخذ فيروزكوه من غياث الدين محمود، وعندما سار أمير مُلك إلى فيروزكوه، وبلغ ذلك غياث الدين محمود، فأرسل على وجه السرعة يَبْذُل الطاعة، ويطلب الأمان، فأعطاه أمير مُلك الأمان، فعند ذلك نزل إليه غياث الدين محمود، فقبض عليه أمير مُلك، وعَلَى عَلِيّ شاه أخي السلطان خوارزم شاه، فسألاه أن يحملهما إلى خوارزم شاه؛ ليرى فيهما رأيه، فأرسل إلى خوارزم شاه يُعرفه

---

(١) فيروز كوه: ويقال: بيروز كوه، تعني بالفارسية الجبل الأزرق، وهي قلعة عظيمة حصينة في جبال غورستان. البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/١٣٨٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ج٣، ص١٠٥١. وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥٢٦. وهي الآن من أهم جبال دولة أفغانستان في وسط البلاد. آمنه أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، ص٤٨.

(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٠٩-١١٠. وابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٧. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص١٢٣.

بخبر القبض عليهما، وماذا يفعل بهما، فأمره السلطان بقتلهما، فقتلا في يوم واحدٍ، واستقامت بذلك خراسان كلها لخوارزم شاه، وذلك في سنة ٦٠٥هـ(١٢٠٨م)[١].

وبعد أن استقر الأمر إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه في خراسان سنة ٦٠٥هـ(١٢٠٨م)، عبر نهر جيحون[٢] بجيش عظيم؛ لمحاربة دولة الخَطَا، وكان معه حليفه عثمان خان صاحب سمرقند، وعندما علم ملك الخَطَا بخروج خوارزم شاه وحليفه ـ صاحب سمرقند ـ استعد له، وجمع جيشاً عظيماً لمحاربته، وقد جعل على قيادة هذا الجيش قائده العجوز طَايَنْكُوهْ، وكان شيخا كبيرًا، وقد تجاوز عمره مائة سنة، ولقي حروباً كثيرة[٣]، وكان حسن التدبير والعقل، وله دراية بالحروب وخبرة، واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند، وتصافوا هم وجيوش دولة الخَطَا، وذلك سنة ٦٠٦هـ (١٢٠٩م)، فجرت بينهم حروب كثيرة، وقد انهزمت جيوش الخَطَا هزيمة مُنكرة، وقتل منهم عدد كبير، وأُسر خلق منهم لا يحصى[٤].

وقد وقع في الأسر طَايَنْكُوهْ قائد جيش الخَطَا ومُقَدَّمُهُمْ، وجيء به إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، فاستقبله استقبالًا حسنًا، وأكرمه، وأجلسه على سريره، وسَيَّرَهُ إِلَى خُوَارَزْمَ، ثم سار خوارزم شاه إلى بلاد ما وراء النهر، وقد استولى

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٧. وأبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١١٠. وابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢٤.

(٢) نهر جيحون يجري الآن في جمهورية أفغانستان، ويعرف باسم نهر أمودايا. آمنه أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، ص٤٨.

(٣) قال الجوزجاني: "أنه قد انتصر في خمس وأربعين معركة، ولم يكن قد هزم من قبل". طبقات ناصري، ج٢، ص١١٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٨. والهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٤. والذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م، ج٤٣، ص٢٤.

عليها مدينة مدينة، وناحية ناحية، حتى وصـــل إلى مدينة أوزكند[١]، وجعل نوابه فيها، وعاد إلى خوارزم ومعه عثمان خان سلطان سمرقند[٢].

آثار التحالف بين خوارزم شاه وعثمان خان:

نتج عن هذا التحالف بين علاء الدين محمد وعثمان خان، أن وضـــع الخوارزميون أيديهم على كل بلاد ما وراء النهر بعد أن استولى على مدنها المدينة تلو الأخرى، ووصلت حدود الدولة الخوارزمية إلى مدينة أوزكند على نهر سيحون، ولما فرغ السلطان علاء الدين الخوارزمي من توطيد نفوذه في البلاد المفتوحة عاد إلى خوارزم يصحبه حليفه عثمان خان[٣].

وأسند السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه حكم بلاد ما وراء النهر إلى حليفه عثمان خان حاكم سمرقند، وزَوَّجَه ابنته، ورَدَّهُ إلى سمرقند، وترك معه حامية خوارزمية؛ ليضمن ولاء السلطان السمرقندي له، وفرض عليه جزية مثل التي كان يدفعها إلى دولة الخَطَا[٤].

وقد وصل خوارزم شاه السلطان علاء الدين محمد بهذا الانتصار إلى قمة مجده، واتخذ لنفسه بعد هذه الواقعة التي انتصر فيها لقبي الاسكندر الثاني وسنجر؛ تيمنًا بانتصـــارات الأول وغلبته على ملوك الأرض قاطبة، وتفاؤلًا بطول عمر

---

(١) أُوزْكَنْد: بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال: أوزجند. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٨. وابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد المدائني (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، حملات الغزو المغولي للشرق، طبعة دار لارماتون، باريس، ١٩٩٥م، ص٢٢. والجوزجاني: طبقات ناصـــري، ج٢، ص١١٦. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص١٢٤.

(٣) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٧٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٨.

الثاني[١]. واعتقد أتباعه أنه ظل الله على الأرض[٢]. وأصبحت الدولة الخوارزمية متصلة اتصالًا مباشرًا بالدولة القراخطائية، التي تأثرت قوتها بعد هذه الهزيمة التي تلقتها من الدولة الخوارزمية وحليفها[٣].

غدر عثمان خان بالخوارزميين وموقف خوارزم شاه من ذلك:

عاد عثمان خان صاحب سمرقند إليها، ومعه جنود الحامية الخوارزمية، حيث أقاموا معه سنة، فرأى من سوء سيرتهم وقبح معاملتهم ما رأى؛ ونتيجة لتصرفات جنود الحامية الخوارزمية وإساءتهم إلى شعب ما وراء النهر، وتعديهم عليهم، وعدم احترامهم لحكام البلاد الأصليين؛ حيث لم يقيموا لهم وزنًا، وتعديهم على الأهالي واستغلالهم لهم أسوأ استغلال؛ ونتيجة لهذا كله ثار عثمان خان على السلطان علاء الدين محمد، وندم على تحالفه معه ضد الخطا، واتصل بكورخان ـ ملك الخطا ـــ ليخلصه من نير السلطان علاء الدين محمد وأتباعه، وما أن تم له ما أراد حتى أمر بقتل جميع جنود الحامية الخوارزمية، كما قام بقتل كل خوارزمي يسكن بلاد ما وراء النهر، فكان يجعل الرجل منهم قطعتين ويعلقهم في الأسواق، وأمر القصابين بتعليق أجساد القتلى في محلاتهم وتقطيعها إربًا وعرضها على الأهالي[٤].

وقد قام عثمان خان – صاحب سمرقند – بإهانة زوجته ابنة السلطان الخوارزمي، وكاد يقتلها لولا توسلاتها؛ حيث أغلقت الأبواب، ووقفت بجواريها

---

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص٤٢.

(٢) حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص٧٦.

(٣) أحمد محمد المنوفي: اجتياح المغول للبلاد الإسلامية من جنكيز خان إلى هولاكو، طبعة الشروق، سمنود، بدون تاريخ، ص٨٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٨-٢٥٩. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٨. وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص١٢٤. وعبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران، ص٤٢.

تمنعه، وأرســـلت إليه تقول: "أنا امرأة وَقتلُ مِثلي قبيح، ولم يكن مني إليك ما استوجب به هذا منك، ولعل تركي أحمدُ عاقبة، فاتق الله فِيّ". فتركها، ووكل بها من يمنعها التصرف في نفسها. وتزوج عثمان خان من ابنة كورخان ملك الخَطَا؛ توطيدًا لحســن الصــلات بينهما، وجعل زوجته الســابقة ابنة الســلطان علاء الدين محمد الخوارزمي أمة لها(١).

ولما وصل الخبر إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه بما فعله حليفه عثمان خان، قامت قيامته، وغضب غضبًا شديدًا، وأمر بقتل كل من بخوارزم من الغرباء، ولكن منعته أمه من ذلك، وقالت: "إن هذا البلد قد أتاه الناس من أقطار الأرض، ولم يرضَ كُلُّهم بما كان من هذا الرجل". فأمرَ بقتل أهل ســـمرقند، فنهته أمه، فانتهى(٢).

وأمر الســلطان علاء الدين محمد خوارزم شــاه عســاكره بالتجهز إلى ما وراء النهر، وســيرهم أرســالًا، وكلما تجهز جماعة عبروا نهر جيحون، فعبر منهم خلق كثير لا يحصى، ثم عبر هو بنفسه في آخرهم، ونزل على مدينة سمرقند، وأرسل إلى صاحبها عثمان خان يقول له: قد فعلت ما لم يفعله مسلم، واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر، وقد عفا الله عما سلف، فاخرج من البلاد، وامضِ حيث شئت. فقال صاحب سمرقند: لا أخرج، وافعل ما بدا لك(٣).

فعند ذلك أمر السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه عساكره بالزحف على سمرقند، وقد أشار عليه بعض من معه بأن يأمر بعض الأمراء إذا فتحوا سمرقند أن

---

(١) ابن الأثير: الكامل التاريخ، ج١٠، ص٢٥٩.

(٢) ابن الأثير: نفسه.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٣، ص٢٥. وانظر أيضًا: عفاف سيد صــبرة: التاريخ الســياســي للدولة الخوارزمية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/٢٠١٢م، ص١٢١-١٢٢.

يقصدوا السِّرب الذي يسكنه التجار، فيمنع من نهبه، أو التطرق إليهم بسوء؛ فإنهم غرباء، وكلهم كارهون لهذا الفعل الذي قام به عثمان خان. فأمر بعض الأمراء بذلك، وزحف نحو المدينة، وقام بنصب السلالم على السور، فلم يكن بأسرع من أن أخذوا البلد، وأذن علاء الدين محمد خوارزم شاه لعسكره بالنهب، وقتل من يجدونه من أهل سمرقند، فاعملوا فيها النهب والسلب والقتل ثلاثة أيام، فيقال: إنهم قتلوا منهم مائتي ألف إنسان، ولم يسلم من سمرقند إلا ذلك الدرب الذي فيه الغرباء، حيث لم يقتل منهم أحد(١).

ثم أمر علاء الدين محمد خوارزم شاه عساكره بالكف عن النهب والقتل، وزحف إلى قلعة سمرقند فرأى صاحبها، وقد ملأ قلبه الخوف، وتملكه الرعب، حيث أرسل إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه يطلب منه الأمان. فقال له السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي: لا أمان لك عندي. وزحف عساكره على القلعة وملكوها، وأسروا صاحبها، وأحضروه عند خوارزم شاه، حيث طلب العفو والأمان، فلم يعفُ عنه، وأمر السلطان الخوارزمي بقتله، ودانت هذه المدينة وسائر بلاد ما وراء النهر بالطاعة للخوارزميين الذين أقاموا حاكمًا خوارزميًا على كل مدينة، وضمنوا بذلك ولاء هذه البلاد لهم(٢).

وبذلك جاور خوارزم شاه علاء الدين محمد أعداءه القَرَاخَطَائيين، وأخذ ينظر إليهم بحذر بالغ لما لهم من قوة واستعداد عسكري كامل، إلا أن دولة القراخطائيين أصيبت بتصدع أدى بها في النهاية إلى الاندثار، وذلك أن كوشلوك خان زعيم قبيلة النايمان، والهارب من وجه جنكيز خان التجأ إلى كور خان يحميه من الخاقان المغولي، وتمكن بدهائه من تأسيس قوة عسكرية من فلول طائفته التي نجت من سيف جنكيز خان، وانضمت إليه قبائل أخرى، مما آثار الرعب في قلب كور خان(٣). وهذا ما سأوضحه في المبحث التالي.

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٥٩. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٨.

(٢) ابن الأثير: نفسه.

(٣) عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران، ص٤٢.

المبحث الثاني

تحالف خوارزم شاه علاء الدين محمد وكوشلوك خان ضد دولة الخَطَا

التعريف بقبيلة النايمان وكوشلوك خان:

قبيلة النايمان من قبائل الأترك الذين غلب عليهم الطابع المغولي، وموطنهم الأصـــلي الحوض الأعلى لنهر أرُخن[١]، وســـفوح جبال آلتاي[٢] وبحيراتها، وقد اعتنقت المســـيحية كما فعلت قبيلة كرايت[٣]، إلا أنها لم تكن على وفاق مع تلك القبيلة، وكان بينهما صـــراع مســـتمر، وقد اســـتعار النايمان مبادئ ثقافتهم من الأويغوريين جيرانهم في الجنوب، وكان هؤلاء النايمان بدوًا رحالة يقيم بعضـــهم في مناطق الجبال الوعرة، ويقيم البعض الآخر في الصحارى[٤].

---

(١) أرخن: هو نهر أورخون الذي يقع في منغوليا، وهو من أشـــهر أنهارها. يحي الشـــامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٢٧.

(٢) جبال آلتاي: يبلغ ارتفاع أعلى قممها ٤٣٥٦ مترًا، وهي في غرب منغوليا. يحي الشـــامي: المرجع نفسه.

(٣) موطنهم الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي، وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين، وهم من المغول، وكان هؤلاء القوم يدينون بالمسـيحية، والكرايت كانوا يعادون جمعًا كبيرًا من الأقوام الأخرى لا ســـيما قوم النايمان، وفي عهد جنكيز خان كان أونك خان ملكًا على قبائل الكرايت، وفي بادئ الأمر كانت تربطهما مودة وصـــداقة، وكان جنكيز خان في ســـلوكه هذا يقتدي بأبيه يســـوكاي بهادر الذي كانت علاقته بأونك خان على خير ما يرام. غير أن هذه الصـداقة لم تدم طويلًا؛ إذ اضـطر جنكيز خان إلى محاربة أونك خان والقضـاء عليه. عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ص٤٨. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٢٧-٢٨.

(٤) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإســلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية (٢٠٥هـ/٨٢٠م ـ ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: محمد علاء الدين منصــور، وراجعه: الســباعي محمد الســباعي، دار الثقافة للنشــر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٤٧. ومصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى، ص١٠٥.

وكان لهؤلاء النايمان ملوك مشـــهورون وأقوياء، ولهم جيوش عديدة، وكانت تقاليدهم وعاداتهم تشـــبه عادات المغول[١]. وبعد أن تغلب جنكيز خان على قبيلة كرايت، تأكد تايانك خان[٢] ملك قبيلة النايمان أن جنكيز خان ســـوف يهاجمه، ويقضي عليه كما فعل بأونك خان ملك قبيلة كرايت، فاستنجد بملك قبيلة الانكوت[٣]، وطلب أن ينضـــم إليه في حربه ضـــد جنكيز خان، غير أن هذا الحاكم أرســـل إلى جنكيز خان رســـولًا يطلعه على ما عرضـــه عليه تايانك خان؛ فاســـتعد جنكيز خان لمحاربته، ولكن تايانك خان قد اتخذ الأهبة للقتال، وجمع جيشًـــا جرارًا، وانضـــم إليه كثير من رؤســـــاء القبـــائـــل الأخرى، ودارت الحرب بين الفريقين في ســـــنـــة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، فتغلب جنكيز خان على خصمه وقتله، وأسرت زوجته[٤]، وسيقت إلى جنكيز خان، فتزوج منها[٥].

وبعد أن هزم جنكيز خان قبائل النايمان، وقضـــى على ملكهم تايانك خان، فَرَّ كوشـــلوك خان –ابن تايانك خان– مع جمع كثير من أتباعه، إلى حدود ولاية كوجا، وبقي في جبـــالهـــا دون زاد وطعـــام، ثم تفرق عنـــه أتبـــاعـــه. ويقـــال: إن الجنود

---

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٢٩.

(٢) ورد في الجويني أونك خان. تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٩٤. وهو خطأ؛ فإن أونك خان ملك قبيلة الكرايت، وقد حاربه جنكيز خان وقتله، كما حارب وقتل تايانك خان ملك النايمان.

(٣) الانكوت: كانوا في أيام جنكيز خان وقبله من المتعلقين بسلطان الخطا، وهم يشبهون المغول. الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص٥٤.

(٤) جاء في التاريخ الســـري للمغول "بعد أن هزم جنكيز خان شـــعب قبيلة النايمان هزيمة تامة، وقهرهم على الســـفوح الجنوبية لجبال آلتاي....، وأمر جنكيز خان بجلب غوربيمر أم تايانغ إليه، وقال لها: ألســـت أنت التي اعتدت أن تقولي بأن المغول لهم رائحة كريهة، أولم تقولي ذلك؟ فلماذا على هذا قدمت الآن؟ ثم اتخذها جنكيز خان كزوجة". مجهول، ص٢٨٧–٢٨٨.

(٥) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨١–١٨٢. وفؤاد عبد المعطي الصـــياد: المغول في التاريخ، ص٤٧–٤٨.

القراخطائيين اعتقلوه وحملوه إلى ملكهم كور خان. وتقول رواية أخرى: إن كوشلوك خان لجأ إلى كور خان ملك الخَطَا، وصار محتجزا عنده مدة من الزمن[١].

وقد سمح كور خان –ملك الخَطَا– لكوشلوك خان بأن يجمع بقايا جنوده التي تفرقت عنه على أيدي جنكيز خان، واستطاع هذا الزعيم الفار أن يكوِّن لنفسه قوة هناك[٢].

رسالة كوشلوك خان إلى خوارزم شاه علاء الدين محمد:

استطاع كوشلوك خان أن يجمع فلول قواته، وكوَّن منها جيشا قويا أصبح فيما بعد يشكل خطراً كبيرا على دولة الخَطَا، واستغل كوشلوك خان العداء الذي قام بين الخوارزميين ودولة الخَطَا؛ فأرسل رسالة سرية إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، يقول له فيها: "إن هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا، فساعدنا عليهم، ونَحلفُ أننا إذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك، ونقنع بالمواضع التي ينزلونها"[٣].

وعندما علم كور خان –ملك الخَطَا– بأمر هذه الرسالة، كتب إلى خوارزم شاه علاء الدين محمد يقول له: "أما ما كان مِنك من أخذ بلادنا وقتل رجالنا فعفونا عنه، وقد أتى مِنْ هذا العدو مَنْ لا قِبَلَ لنا به، وإنهم إن انتصروا علينا، وملكونا فلا دافع لهم عنك، والمصلحة أن تسير إلينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم، ونحن

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٩٤. والهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٢-١٨٣. وابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢٤. وانظر أيضًا جون مان: جنكيز خان الحياة والموت والانبعاث، ترجمة: حسن عبد العزيز عويضة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص١١٢.

(٢) عفاف سيد صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص١٢٣. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٥٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦٠. والهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٤.

نحلف لك أننا إذا ظفرنا بهم لا نتعرض إلى ما أخذت من البلاد ونقنع بما في أيدينا"[1]. وقد أجاب السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه كلًا منهما: إنني معك[2].

وهكذا عرض كوشلوك خان على علاء الدين محمد أن يتحالف معه ضد دولة الخَطَا، وعرض كور خان -ملك الخَطَا- كذلك على علاء الدين محمد أن يتحالف معه ضد كوشلوك خان زعيم النايمان، فَرَدَّ علاء الدين محمد عَلَى كُلٍّ منهما بأنه معه.

وسار علاء الدين محمد خوارزم شاه بالجيوش الخوارزمية إلى أن نزل موضعًا قريبًا من الموضع الذي كان كوشلوك خان وكور خان تصافوا فيه، واستمر علاء الدين محمد خوارزم شاه بعيدا عنهما، ولم يخالطهم مخالطة يُعْلَمُ بها أنه من أحدهما، ووقف بين هاتين القوتين موقف المتفرج، وينتظر رجحان كفة احداهما على الأخرى لينضم إلى القوة المنتصرة، وكلاهما يظن أن الجيوش الخوارزمية جاءت لتؤازره[3].

القتال بين كوشلوك خان زعيم النايمان وكور خان ملك الخَطَا:

التقى كوشلوك خان زعيم قبيلة النايمان بعساكره مع جيش كور خان ملك الخَطَا، فانهزمت جيوش الخَطَا منه هزيمة منكرة، وشردت الجيوش القراخطائية، ولم

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦٠. وانظر أيضًا الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٣، ص٢٥. وسليمان بن حمد بن عبد الله العودة: كيف دخل التتر بلاد المسلمين، ص٢٠.

(2) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١١٠. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٨.

(3) أبو الفداء: نفسه. وابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢٤. وعفاف سيد صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص١٢٤.

يسلم منهم إلا طائفة يسيرة مع ملكهم في موضع من نواحي الترك، وكان يحيط به جبل ليس إليه طريق إلا من جهة واحدة، تحصنوا فيه، وانضم إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه منهم طائفة، وصاروا في عسكره، وعندما رأى السلطان الخوارزمي ذلك، انضم إلى كوشلوك خان، وأعمل السيف في رقاب البقية الباقية من الجيوش القراخطائية(١).

وذكر الجويني(٢): أن كوشلوك خان قد استولى على خزائن كور خان ملك الخطا التي كانت في أوزكندا، وذلك بعد أن هزم كور خان ملك الخَطَا، واستولى على مملكته، وقد استسلم كور خان وجيشه له، كما تزوج بإحدى بنات الخَطَا، والتي قد ألزمته بعبادة الأوثان، على الرغم من أن الديانة المسيحية كانت هي السائدة بين غالبية قبيلة النايمان آنذاك. وبعد سنتين من استيلاء كوشلوك خان على أملاك دولة الخَطَا، واستيلائه أيضًا على أموالهم وخزائنهم، توفي كور خان ملك الخَطَا(٣). وبذلك انقضت دولة القراخطائية وانتهى أمرها(٤).

آثار التحالف بين خوارزم شاه وكوشلوك خان:

نجح كوشلوك خان في القضاء على دولة الخَطَا، واعتلاء عرشها، وقد ترتب على ذلك أمر غاية في الخطورة على الدولة الخوارزمية، وذو أبعاد سياسية مهمة بالنسبة للعالم الإسلامي، وذلك أن أملاك كوشلوك خان أصبحت مجاورة للدولة

---

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٩٥-٩٦. والذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٣، ص٢٥. ومحمد دبير سياقي: السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ، ترجمة وتقديم: أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص٢٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٩٥.

(٣) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٤.

(٤) الجوزجاني، طبقات ناصري، ج٢، ص١١٦.

الخوارزمية، الأمر الذي جعل السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه في موقف لا يحسد عليه؛ فإن كوشلوك خان كان هاربًا من وجه جنكيز خان، ولابد من حرب مصيرية بينهما، فاتجهت أنظار جنكيز خان نحو الأقاليم الغربية من آسيا؛ حيث دولة كوشلوك خان عدوه القديم[١]. ولذلك قام كوشلوك خان بعد أن اعتلى عرش القراخَطَائيين بتقوية نفوذه، وتوسيع دولته على حساب القوى المتناثر الضعيفة المجاورة له، حيث أخضع كثيرًا من القبائل المجاورة لدولته، وكان بعضها تابعًا للمغول، فوسع أملاكه حتى امتدت دولته من التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية دون أن يعوقه عائق[٢].

وقد كان إزالة هذه الدولة (دولة الخَطَا) خطأً فاحشًا ارتكبه السلطان علاء الدين محمد؛ فقد كان ملوك القراخطائيين سدًا منيعا بين بلاد المسلمين وغيرهم من الكفار الآخرين، ومن بينهم المغول. فحين هزمهم السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، لم يقض عليهم فحسب، إنما طوح بما بين الكفار والمسلمين من سد منيع، وأصبح هو نفسه عاجزًا عن حماية هذه البلاد، فلما أغار التتار لم يحل دونهم حائل، فساروا حتى أقصى بلاد المسلمين[٣].

وقد قال ابن أبي الحديد[٤] عن دولة الخطا: "وكانوا حِجابًا بينه وبين هذه الأمة، وشحن هذه البلاد بقواده وجنوده، وكان في ذلك غالطًا؛ لأن ملوك الخَطَا كانوا وقاية

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦١.

(٢) الجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٩٥-٩٦.

(٣) العروضي: جهار مقالة، ص١٠٨. والنسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص١٢، وص٤٦. وانظر أيضًا عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية، ص٣٤٩.

(٤) حملات الغزو المغولي للشرق، ص٢٣.

له من هؤلاء، فلما أفناهم، صار هو المتولي لحرب هؤلاء أو سِلمهم. فأساء قواده وأمراؤه الذين بتركستان السيرة معهم، وسدوا طرق التجارة عنهم".

ويقول الدكتور فؤاد الصياد[1]: "والعجيب في الأمر أن سياسة أبيه تكش كانت تقضي بالمحافظة على تلك الدولة، وأن الملوك والوزراء وخانات التركستان حذروه من ذلك، وقالوا له: إن جيش الخَطَا لم يحركه أحد قط. كذلك قال له المجربون من ساسة هذا العصر: لقد سمعنا من آبائنا أنه وراء جيش الخَطَا توجد خلية نحل، حيث ترابط جيوش يأجوج، ويقصدون بهم المغول، فلا تحرك هذه الخلية".

والواقع أن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه خالف سنة من سبقوه من سلاطين الخوارزميين في دفع الجزية للدولة القراخطائية، وتعاون على إسقاطها مع حليفه كوشلوك خان، وكان القضاء على هذه الدولة خطأ جسيمًا ارتكبه السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه؛ لأن هذه الدولة كانت حاجزًا قويًا، وسدًا منيعًا يحول دون تقدم القبائل الهمجية المتعطشة لسفك الدماء إلى العالم الإسلامي، وكان على رأس هذه القبائل المغول، ولم يكن كوشلوك خان وقبيلته النايمان التي قد حلت محل القراخطائيين، من القيام بهذا الدور.

اضطهاد كوشلوك خان للمسلمين:

انتهج كوشلوك خان سياسة عدائية تجاه المسلمين في بلاده، وحابى البوذيين دون سواهم من أصحاب الأديان الأخرى؛ فقد كان كوشلوك خان يدين بالمسيحية، إلا أنه بعد أن تزوج من ابنة كور خان ملك الخَطَا وبتأثير نفوذها، وفرط جمالها استطاعت إقناعه بالارتداد عن المسيحية، واعتناق البوذية التي كانت تدين بها، فكان يرسل جيشه أثناء الحصاد حتى يلتهموا ويدمروا ويحرقوا المحصول، فلما

([1]) المغول في التاريخ، ص٦٨.

انقطع عنهم دخل هذه المحصـــولات ثلاثة أعوام أو أربعة، ارتفعت الأســـعار، وعم الغلاء، وأصبح الأهالي عاجزين ضعفاء؛ لما أصابهم من قحط[١].

وقد ذكر الجويني أنه عندما ضـــيق كوشـــلوك خان على الأهالي في حياتهم "انقادوا لحكمه، وأذعنوا لأمره، كما ذهب بجيشه إلى هؤلاء الأهالي أيضًا، وأنزل في كل بيت به زوج أو رب بيت واحدًا من جنوده، وهكذا احتموا مع الأهالي في مكان واحد، وتحت سقف بيت واحد، وبدأ الجور والظلم أكثر ما كان وقت حرق المحصول وتدميره، وبذلك ظهر الفســـاد، وقدموا للمشـــركين عبدة الأوثان كل ما أرادوا وقدروا عليه، ولم يكن لأحد من الأهالي القدرة على الممانعة في ذلك"[٢].

وقد أصاب كوشلوك خان نوع من الهوس الديني؛ حتى إنه أجبر المسلمين من رعاياه على الارتداد عن دينهم، واعتناق إحدى الديانتين، المسيحية أو البوذية، وإن لم يقبلوا ذلك فعليهم أن يتزيوا بزي القراخطائيين، فكان المســـلمون يرتضـــون الحل الأخير مكرهين، ومع ذلك حال بينهم وبين أداء شعائرهم الدينية، وانقطع الآذان من البلاد، وكان يجبر الأئمة وكبار رجال الدين المسـلمين على الخروج إلى الصـحراء؛ ليناظرهم في شـئون الأديان والعقائد، وكان آخر الأمر يسـفه آراءهم ويتحداهم، إلى أن وقف له الإمام علاء الدين محمد الختني، وجادله بشجاعة وبين له زيف مذهبه، وأقام الحجج على صحة العقيدة الإسلامية، فلم يستطع كوشلوك خان ورجال الديانة البوذية من الرد على إمام المسلمين، فما كان من كوشلوك خان إلا أن أمر بصلبه على باب إحدى المدارس، وعاقبه أشـــد عقاب[٣]. الأمر الذي جعل الصـــدام بين كوشلوك خان وخوارزم شاه أمرًا محتوما ووشيكا.

---

(١) الجويني: تاريخ فاتح العالم، ج١، ص٩٥-٩٦.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٩٦.

(٣) الجويني: نفسه. والهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٥.

العداء بين خوارزم شاه وكوشلوك خان:

أرسل السلطان علاء الدين محمد إلى كوشلوك خان يبين له أن النصر الذي أحرزه على كور خان كان بفضل الخوارزميين، فأيده كوشلوك خان على ذلك، وكرر السلطان علاء الدين محمد رسالته لكوشلوك خان، وطلب منه مقاسمته لنصف أملاك دولة الخطا، وقال: "كما أننا اتفقنا على إبادتهم ينبغي أن نقتسم بلادهم"(١). الأمر الذي جعل العلاقة بين السلطان علاء الدين محمد وكوشلوك خان سيئة، وزاد من سوئها أن السلطان علاء الدين محمد كان يرى أن ما يوجه إلى المسلمين من إهانات واضطهادات في دولة الخَطَا من كوشلوك خان، موجهة ضده شخصيًا؛ لأنه يرى نفسه حامي حمى المسلمين(٢).

وقد رفض كوشلوك خان طلب السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه في اقتسام أملاك دولة الخَطَا، وهدده بالحرب، وقال له: "ليس لك عندي غير السيف، ولستم بأقوى من الخَطَا شوكة، ولا أعز ملكا، فإن قنعت بالمساكتة، وإلا سرت إليك، وفعلت بك شرًا مما فعلت بهم"(٣).

وقد استعد كوشلوك خان للحرب، وجهز عساكره، ونزل قريبًا من السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، ورأى السلطان الخوارزمي أنه لا طاقة له به، فكان يراوغ كوشلوك خان، حتى إذا سار إلى موضع قصد خوارزم شاه أهله وأملاكه فينهبها، وإذا سمع أن طائفة سارت عن موطنهم سار إليها، وأوقع بها، فأرسل إليه كوشلوك خان يقول له: ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص، وإلا إن كنت سلطانًا كما

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦١.

(٢) أحمد المنوفي: اجتياح المغول للبلاد الإسلامية من جنكيز خان إلى هولاكو، ص٦١. وعبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران، ص٤٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦١.

تقول، فيجب أن نلتقي، فإما تهزمني وتملك البلاد التي بيدي، وإما أن أفعل أنا بك ذلك[1].

وقد أفرد النسوي رواية تبين أن السلطان الخوارزمي أرسل أيضًا إلى كوشلوك خان يطلب منه أن يسلمه كور خان ملك الخَطَا المهزوم، وذلك لأنه كانت هناك اتفاقية من قبل بين السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه وكور خان على أن يزوجه ابنته طوغاج خاتون، كما أنه رفض أن يقع كورخان أسيرًا في يد كوشلوك خان، ومن قوله: "أحين أصبح كسيرًا يؤخذ أسيرًا؟ فإن أردت السلامة في نفسك وذويك، فشأنك أن تسيره إلى بيته وخزائنه، وأمواله وأشياعه، وإلا قد جئتك بما لا يغنيك إلا حد الحسام[2]، وثبات المقام"[3].

وقد كان رد كوشلوك خان على السلطان علاء الدين خوارزم شاه ردًا لطيفًا رفض فيه تسليم كور خان؛ لأن الأخير – كور خان – تذلل وتضرع إليه لكي لا يسلمه إلى السلطان علاء الدين خوارزم شاه؛ بحجة أن السلطان الخوارزمي وأباه كانا يحملان إليه الأتاوة، ويبذلان له فروض الطاعة، وقد نصرتهما على عدة أعداء لهما، وكانوا يرهبون جانبي، وقد علم المنجد والغابر، والمقيم والسائر، ما كانا عليه من الخدمة، وحين ساعدته الأيام حتى رام من مناطحتي ما لا يرام، رضيت معه بالمسالمة على أن أزوجه ابنتي وهي أعز خلق الله عندي، .... فرق قلب كوشلوك خان له، ولم يقم بتسليمه هو وابنته إلى السلطان الخوارزمي، وقد بعث السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه رسولًا إلى كوشلوك خان مجددًا مطلبه في تسليم كور خان له، وأمر رسوله بمخاشنة كوشلوك خان في الكلام، ففعل، لذلك قيده كوشلوك

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦١.

(2) الحسام: السيف القاطع، وحسام السيف: طرفه الذي يضرب به. الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص١٩٩.

(3) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص٤٤.

خان، إلى أن منَّ الله عليه بالخلاص في وقعة كانت بين كوشلوك خان وسرية من سرايا السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه[١].

وهكذا ساءت العلاقة بين السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه وكوشلوك خان، واقتصرت عداوته لكوشلوك خان على شن عدة هجمات خاطفة على أراضي دولة الخطا، وكانت هذه الهجمات لا تخرج عن أعمال السطو المسلح على الكثير من أراضي دولة الخطا، واحتدم الصراع بين الخوارزميين وكوشلوك خان؛ حتى إن الأخير هددهم بغزو أراضيهم، وتجهز لذلك، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق غرضه؛ لوصول القوات المغولية إلى بلاده، والاستيلاء عليها[٢].

قضاء المغول على كوشلوك خان ودولته:

لم ينعم كوشلوك خان بانتصاره على القراخطائيين، ولم يجن ثماره بعد أن جلس على عرشهم، أو بمعنى أدق بغدره وعدم مروءته؛ لأن جنكيز خان لم يكن غافلًا عن عدوه القديم، يتركه يقوى ويشتد ساعده؛ ليعود ويهاجمه؛ للأخذ بثأر أبيه وثأر قبيلته، وإذا كان قد صبر عليه بعض الوقت، فما ذلك إلا لأنه كان مشغولًا بحروبه في الصين[٣].

وعندما فرغ جنكيز خان من حروبه في بلاد الصين سير جيوشه لإخضاع القبائل العاصية التي انضمت إلى كوشلوك خان، وساهمت في تكوين دولته، واشترك في هذه الحملة قائداه الشهيران: سوبوتاي الذي كلف بإخضاع قبائل المركيت[٤]

---

(١) النسوي: جلال الدين منكبرتي، ص١٢، وص٤٤-٤٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٦١. وابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٥٩.

(٣) عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران، ص٤٥. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٥٦.

(٤) ويطلق عليهم أيضًا اسم مكريت، وهم يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا، وجنوب بحيرة بايكال، وكان لهم جيش قوي، ويعدون من جنس المغول، وقاموا=

التي انضـــمت إلى كوشـــلوك خان، وجبه نويان لقتال كوشـــلوك خان نفســـه وإحضاره حيًا أو ميتًا[١].

وسار جبه نويان إلى كاشغر، واستولى عليها بسهولة، وفر كوشلوك خان هائمًا على وجهه، ولم يحاول أن يواجه المغول في معركة من المعارك، وكان أول ما فعله جبـه نويـان أن أطلق الحريـة الـدينيـة للجميع، وأن يســـيروا على دين آبـائهم وأجدادهم[٢]. ومن المؤكد أن يكون المسلمون قد تنفسوا بذلك الصعداء؛ لأنه بهذا الإجراء خلصـــهم مما كانوا يعانون به من ضـــيق وحرج على يد كوشـــلوك خان في نواحي كاشغر، ولا غرو أن راحوا يستقبلون المغول كمحررين لهذه البلاد.

واعتقل بعض الصيادين كوشلوك خان، وسلموه للمغول الذين كانوا يجِدون في البحث عنه، فقتلوه على الفور، وأرســـلوا رأســـه إلى جنكيز خان في منغوليا[٣]، ثم أعملوا سيوفهم في كل من وجدوه من طائفة النايمان؛ حتى قضوا عليهم جميعًا (في سنة ٦١٥هـــ/١٢١٨م)، وتمت سيطرة المغول بعد مقتل كوشلوك خان على جميع القبائل التركية التي كانت تخضع للقراخطائيين، وسيطروا على كل الأماكن التي كان كوشلوك خان قد ضمها إلى دولته [٤].

=بعدة حروب ضد جنكيز خان، ولكنه تمكن من القضاء عليهم. الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص٦١-٦٢. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٢٨-٢٩.

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران، ص٤٥. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المصدر السابق، ص٥٦.

(٢) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٥.

(٣) منغوليا: هي إحدى جمهوريات الإتحاد السوفياتي - سابقًا -، وتحيط بها منغوليا الداخلية، وكشمير، وطاجكستان، وقرغيزيا، وعاصمتها أولان باتور. يحي الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٢٧.

(٤) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٦. وفؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص٥٦-٥٧. وجورج لاين: عصر المغول، ص٣٥-٣٦.

وقام المغول بإعدام جميع عساكر النايمان، كما أعدموا الذين كانوا مقيمين في البلدة في بيوت المسلمين[1]. وبذلك رفع المغول الظلم والجور الذي كان واقعا على المسلمين وغيرهم من الأهالي التابعين لكوشلوك خان.

وقد ترتب على انتصار المغول على عدوهم القديم الهارب كوشلوك خان الكثير من النتائج؛ فقد دخلت كل القبائل التي كانت خاضعة لكوشلوك خان في طاعة المغول بعد ذلك، وصارت أملاك المغول مجاورة لأملاك الدولة الخوارزمية، وأصبحت الحدود متصلة بين البلدين، الأمر الذي جعل الصدام بينهما أمرا محتوما، وأدى في النهاية إلى اجتياح المغول للدولة الخوارزمية، والعالم الإسلامي، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

(1) الهمذاني: تاريخ جنكيز خان، ص١٨٥.

الخاتمـــة

وبعد،

فهذا بحث عن "التحالفات السياسية لخوارزم شاه علاء الدين محمد ضد القراخطائيين وآثارها"، وقد توصلت فيه إلى النتائج التالية:

- **تأسست مملكة القراخطائيين في شمال الصين، وقد استمرت بها ما يقرب من مائتي عام، حتى هاجر بعضهم إلى بلاد ما وراء النهر، ونجحوا في تأسيس دولة قوية بها في أوائل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).**
- **بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساع لها في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه؛ وذلك بعد أن شملت إيران وبلاد ما وراء النهر.**
- **قام حاكم سمرقند عثمان خان، بتشجيع السلطان علاء الدين محمد، على معاداة دولة الخَطَا ومحاربتها، ووعده بأن يكون بجانبه، وأن ينقل تبعيته إليه.**
- **غدر عثمان خان صاحب سمرقند وبخارى بالدولة الخوارزمية وسلطانها علاء الدين محمد خوارزم شاه، وذلك بعد ما يقرب من عام؛ بسبب سوء تصرف الحامية الخوارزمية في بلاده، وكاتب كور خان ملك الخطا ليخلصه من الخوارزميين؛ على أن يعود إلى ما كان عليه من الولاء لهم.**
- **انتصر السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه على عثمان خان، وأباح مدينة سمرقند لجنوده يقتلون وينهبون، وقتل عثمان خان، وبذلك أصبحت بلاد ما وراء النهر تحت يد خوارزم شاه علاء الدين محمد، الذي عين عليها حاكمًا من قبله، وهكذا أصبحت الدولة الخوارزمية متصلة اتصالًا مباشرًا بدولة القراخطائيين.**
- **تبوأ كوشلوك خان عرش دولة الخطا، وأصبح جارًا للدولة الخوارزمية التي ساءت علاقته بها، كما كان هاربًا من وجه جنكيز خان عدوه القديم، الذي لم يمهله وقتًا طويلًا، وسير إليه جيشًا أسقط دولته وقضى عليه، وبذلك حل محله المغول**

في جوار الدولة الخوارزمية، وأصبحت بذلك الحدود متصلة بين المغول والخوارزميين.

- **كان التعاون على إسقاط مملكة القراخطائيين خطأً جسيمًا ارتكبه السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، الذي لم يسر على خطى أسلافه؛ فقد كانت هذه الدولة تحمي الدولة الخوارزمية –بل والعالم الإسلامي – من شر القبائل المغولية المتعطشة إلى سفك الدماء، والتوسع والتخريب؛ لذلك حرص السلاطين الخوارزميون الأول على بقاء دولة الخطا، وتجنب الاحتكاك بها، وكانوا يدفعون لها جزية سنوية كبيرة.**

وأخيرًا، فإني أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وما خرجت به من نتائج؛ فإن أَكُ وُفِّقْتُ فللهِ الحمد والمنة، وإن جانبني التوفيق في شـــيء؛ فالكمال لله وحده، والخطأ والنسيان من صفات البشر.

﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾.

ملحق رقم (١)

خريطة للدولة الخوارزمية في أقصى اتساع لها

نقلا عن كتاب المغول في التاريخ للصياد، ص٣٩٩.

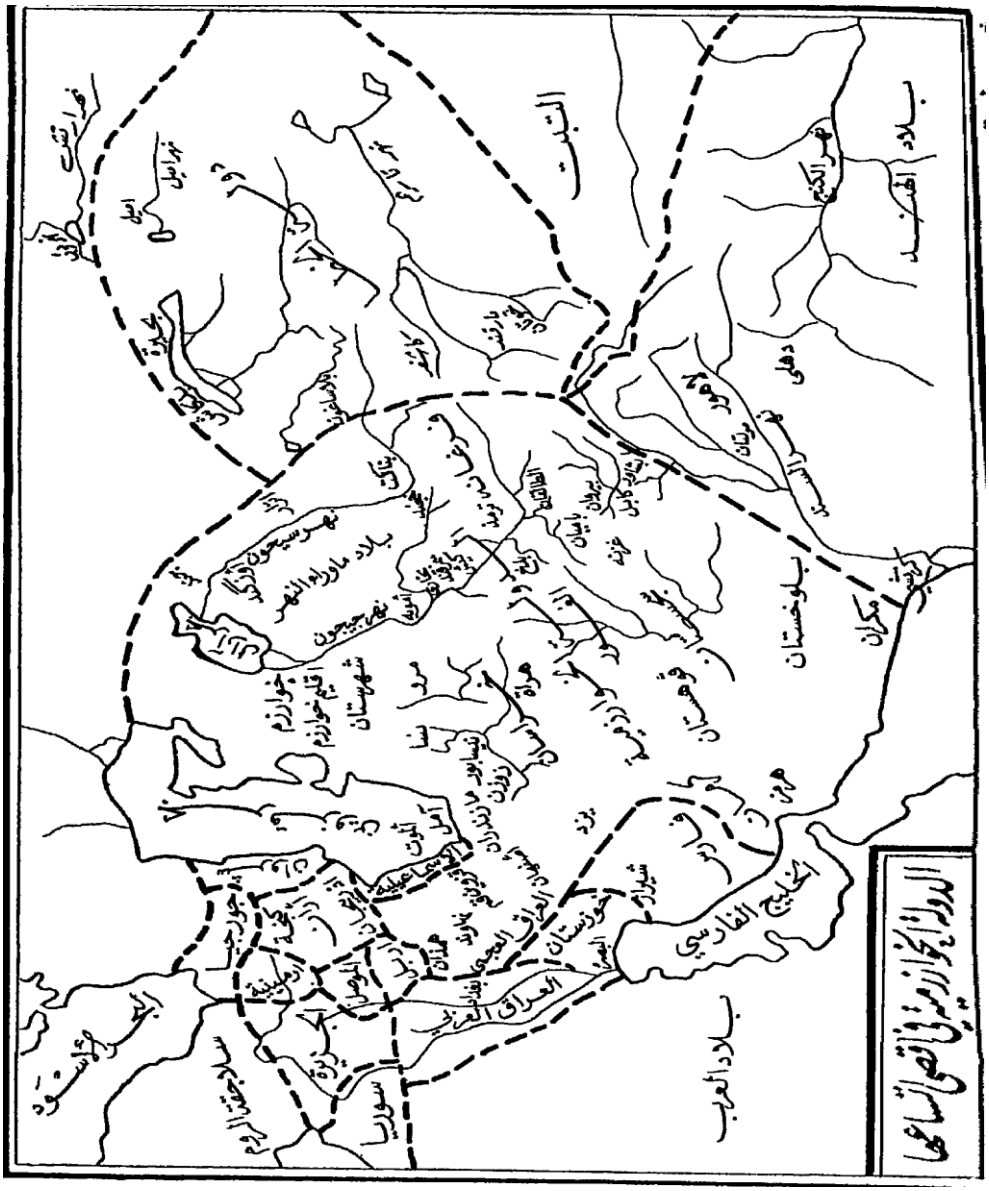

المصادر والمراجع

أولًا ـ المخطوطات:

الهمذاني: رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة (ت:٧١٨هـ/١٣١٨ م).

١- "تاريخ جنكيز خان"، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصـــياد، مخطوط محفوظ بمكتبة أيا صوفيا، تحت رقم ٣٠٣٤، استنبول، تركيا.

ثانياً ـ المصادر العربية:

ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

٢- "الكامل في التاريخ"، تحقيق: عمر عبد الســـلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ/٩٨٠م).

٣- "تهذيب اللغة"، تحقيق: محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

البغدادي: عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/١٣٨٨م).

٤- "مراصـــد الاطلاع على أســـماء الأمكنة والبقاع"، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

حاجي خليفة: مصطفى أفندي ابن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

٥- "سلم الوصـول إلى طبقات الفحول"، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ٢٠١٠م.

ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد المدائني (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

٦- "حملات الغزو المغولي للشرق"، طبعة دار لارماتون، باريس، ١٩٩٥م.

الحميري: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

٧- "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق: إحســان عباس، مؤســسـة ناصـر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٨- "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". (المعروف بتاريخ ابن خلدون)، تحقيق: خليل شحادة، ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ابن خلكان: أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٩- "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

١٠- "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م.

١١- "سير أعلام النبلاء"، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

السبكي: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م).

١٢- "طبقات الشافعية الكبرى"، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م).

١٣- "تاريخ الخلفاء"، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

١٤- "الوافي بالوفيات"، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

صفي الدين: محمد بن محمد صفي الدين بن حامد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

١٥- "تاريخ دولة آل سلجوق"، قرأه وقدم له: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م.

ابن العبري: غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

١٦- "تاريخ مختصر الدول"، وقف على تصحيحه وفهرسته: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود(ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

١٧- "المختصر في أخبار البشر"، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت: ٧٢٣هـ/١٣٢٣م).

١٨- "مجمع الآداب في معجم الألقاب"، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).

١٩- "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

القلقشندي: أحمد بن علي بن أبي اليمن (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م).

٢٠- "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ.

الكتبي: محمد بن شاكر (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

٢١- "فوات الوفيات والذيل عليها"، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٢٢- "البداية والنهاية"، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

النسوي: شهاب الدين محمد بن أحمد بن علي (ت: ٦٤٠هـ/١٢٤٢م).

٢٣- "سيرة جلال الدين منكبرتي"، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، طبعة دار الفكر العربي، القاهر ة، بدون تاريخ.

ابن نقطة: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر (ت: ٦٢٩هـ/١٢٣١م).

٢٤- "إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)"، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

٢٥- "تاريخ ابن الوردي"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

اليافعي: محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت: ٧٦٨هـ/١٢٦٩م).

٢٦- "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان"، وضع حواشيه: خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ياقوت الحموي: أبو عبد الله بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٧- "معجم البلدان"، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

ثالثاً ـ المصادر المعربة:

الجوزجاني: منهاج الدين عثمان بن سراج الدين (ت: ٦٩٨هـ/١٢٩٨م).

٢٨- "طبقات ناصري"، ترجمة وتقديم: ملكة على التركي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

الجويني: علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٢٩- "تاريخ فاتح العالم (جهانكشاي)"، تحقيق وتصحيح: محمد بن عبد الوهاب القزويني، وترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

العروضي: نجم الدين أحمد النظامي (توفى نحو: ٥٦٠هـ، وقيل ٥٧٠هـ).

٣٠- "جهار مقالة (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب"، نقله إلى العربية: عبد الوهاب عزام، ويحي الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

مجهول.

٣١- "التاريخ السري للمغول"، نقله إلى العربية وقدم له: سهيل زكار، طبعة دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

النرشخي: أبو بكر محمد بن جعفر (ت: ٣٤٨هـ/٩٥٩م).

٣٢- "تاريخ بخارى"، تعريب: أمين عبد المجيد البدوي، ونصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

رابعًا ـ المراجع العربية:

أحمد محمد الدسوقي المنوفي (دكتور).

٣٣- "اجتياح المغول للبلاد الإسلامية من جنكيز خان إلى هولاكو"، طبعة الشروق، الراهبين، سمنود، بدون تاريخ.

آمنه أبو حجر (دكتوره).

٣٤- "موسوعة المدن الإسلامية"، دار أسامه للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

إيمان محمد إبراهيم عرفه (دكتوره).

٣٥- "مدخل إلى تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو المغولي مع نصوص تطبيقية"، دار الثقافة العربية، ٢٠١٣م.

حافظ أحمد حمدي (دكتور).

٣٦- "الدولة الخوارزمية والمغول (غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية)"، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

حسن الباشا (دكتور).

٣٧- "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

سعد بن محمد الغامدي (دكتور).

٣٨- "الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي (٦٢٩-٩٢هـ/٧١١-١٢٣١م)"، الرياض، ٢٠٠٠م.

سليمان بن حمد بن عبد الله العودة (دكتور).

٣٩- "كيف دخل التتر بلاد المسلمين"، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

طه باقر (دكتور).

٤٠- "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل، وجزيرة العرب وبلاد الشام، وبعض الحضارات والأمم القديمة فارس- الإغريق- الرومان)"، مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

عبد السلام عبد العزيز فهمي (دكتور).

٤١- "تاريخ الدولة الخوارزمية في إيران"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

عصام عبد الرؤوف الفقي (دكتور).

٤٢- "الدول الإسلامية المستقلة في الشرق"، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

عفاف سيد صبرة (دكتوره).

٤٣- "التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية"، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/٢٠١٢م.

فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور).

٤٤- "المغول في التاريخ"، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م.

محمود قمر(دكتور).

٤٥- "الإسلام والمسلمين في شرق آسيا"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

مصطفى طه بدر (دكتور).

٤٦- "محنة الإسلام الكبرى (أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول)"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

يحي الشامي (دكتور).

٤٧- "موسوعة المدن العربية والإسلامية"، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

خامساً ـ المراجع المعربة:

إدوارد جرانفيل بروان.

٤٨- "تاريخ الأدب في إيران"، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

جورج لاين.

٤٩- "عصر المغول"، ترجمة: تغريد الغضبان، ومراجعة: سامر أبو هواش، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/٢٠١٢م.

جون مان.

٥٠- "جنكيز خان الحياة والموت والانبعاث"، ترجمة: حسن عبد العزيز عويضة، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

عباس إقبال.

٥١- "تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القلجارية (٢٠٥هـ-٨٢٠م /١٣٤٣هـ-١٩٢٥م)"، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: محمد علاء الدين منصور، وراجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ١٩٨٩م.

٥٢- "تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية"، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

محمد دبير سياقي.

٥٣- "السلطان جلال الدين خوارزمشاه في ميزان التاريخ"، ترجمة وتقديم: أحمد الخولي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

سادساً ـ الدوريات:

صبري عبد اللطيف سليم (دكتور).

٥٤- "قيام دولة القراخطاي في تركستان (٥١٨هـ -١١٢٣م/٥٢٧هـ -١١٤٢م)"، مجلة كلية دار العلوم بالفيوم، العدد السابع عشرٍ، يونيو ٢٠٠٧م، مصر.